
روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
٤٩
الضربة القاضية
Looloo
www.dvd4arab.com

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق



١ ـــ أين ؟..

لوّح مفتش الشرطة الإيطالية (مارشيللو) بذراعه ، فى تحية عابثة ، وهو يعبُر رَدهة قسم الأبحاث الجنائية فى (روما) بخطوات سريعة ، وأجابه العشرات من رجال الشُّرطة المنتشرون خلف مكاتبهم فى الرَّدهة ، وغمغم أحدهم وهو يتأمّل (مارشيللو) الذى دفع باب مكتب رئيس البحث الجنائى ، وولجه دون استئذان :

ـــ عجيب هو (مارشيللو) هذا .. إنه شديد الإخلاص لعمله ، ولكنه لا يدرى شيئاً عن أصول اللياقة .

ابتسم رجل آخر ، وأجاب :

ـــ ومن يبالى بأصول اللياقة فى مهنتنا هذه يا صديقى ؟.. القبور تمتلئ بمن اتبعوها من رفاقنا .

هزّ الرجل الأوّل رأسه فى أسف ، وقال :

ـــ أعتقد أن هذا صحيح يا صديقى .

ثم أردف فى اهتمام :

— لقد حاربنا نحن (المافيا) لسنوات وسنوات ، دون أن ننجح في هزيمتهم مرّة واحدة ، وما أن ظهر ذلك الرجل الذى يطلقون عليه اسم (شيطان المافيا) ، حتى انهالت الهزائم على (المافيا) كالمطر ، فقد حطّم كازينو القمار التابع لهم ، وصحيفتهم و .... (*)

قاطعه زميله ، قائلاً :

— وأين انتهى به كل هذه يا رجل ؟.. لقد اختفى تمامًا ، بعد تبادل النيران ، الذى أيقظ (روما) كلها منذ أسبوع ، في قصر (جروشو مانياني) .

عقد الأول حاجبيه ، وغمغم في قلق :

— هل تظن أنهم نجحوا في التخلّص منه ؟

هزّ الثاني كتفيه ، وقال :

— هذا السؤال يقلق الجميع يا صديقي ، وأراهنك أنه محور حديث الرئيس ، مع (مارشيللو) .. أراهنك بألفي ليرة .

لو كان بإمكانهما سماع ما يدور في حجرة رئيس البحث

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزءين الأول والثاني (الرصاصة الذهبية) ، و(شيطان المافيا) .. المغامرتان (٤٧) (٤٨)

الجنائي ، لفاز الثاني على الفور ، فقد كان الرئيس يسأل المفتش (مارشيللو) في اهتمام :

— ألديك أنباء عن (شيطان المافيا) ؟

حرّك (مارشيللو) رأسه نفيًا ، وقال :

— ولا خبر واحد .. حتى التحقيق الذى أجريناه مع (جروشو) ورجاله ، في الأسبوع الماضي ، لم يسفر عن شيء كالعادة .. فلقد ادعى الجميع أنهم تعرّضوا لهجوم مجهول ، والقانون يكفل لهم حق الدفاع عن أنفسهم .

زفر رئيس البحث الجنائي في ضيق ، وقال :

— أعتقد أنهم قد انتصروا هذه المرّة أيضًا يا (مارشيللو) .

ابتسم (مارشيللو) ، وهو يقول :

— كلّا يا سيّدي ، فلو أنهم فعلوا ، لنشروا الخبر بكل الوسائل الممكنة ، حتى يستعيدوا سطوتهم .

ثم شرد ببصره ، وهو يستطرد :

— إن ما أعتقده حقًا هو أنه ابتعد قليلًا ، استعدادًا للجولة القادمة .

برقت عينا الرئيس ، وهو يقول في جذل :

— نعم .. أعتقد ذلك .

ثم عاد يمط شفتيه فى أسف ، ويقول :

— من المؤسف أن يثير (شيطان المافيا) هذا إعجابنا كله ، ثم نضطر لاعتباره مجرمًا ، ونسعى للقبض عليه .. ولكن القانون هو القانون .. للأسف .

غمغم (مارشيللو) فى هدوء :

— القانون ليس صورة العدالة الوحيدة ياسيِّدى .

هزَّ الرئيس كتفيه ، وقال :

— ولكنه عملنا الوحيد يا (مارشيللو) .

أومأ (مارشيللو) برأسه موافقًا فى ضجر ، ثم رفع عينيه فى شرود ، وهو يغمغم :

— ولكننى أتساءل أين هو ؟.. أين ؟.

* * *

دلفت الصحفية الشابة (صوفيا) إلى واحدة من حجرات منزلها الصيفى ، على شاطئ مصيف (نابولى) الإيطالى ، وتأمَّلت فى (منى توفيق) ، التى انهمكت فى تنظيف مدفع رشاش ، ودارت ببصرها تتأمَّل (أدهم صبرى) ، الذى استرخى فى شرفة المنزل المطلة على شاطئ

البحر ، وقد أغلق عينيه ، ومدَّ قدميه فوق مقعد مقابل ، وهمست (صوفيا) ، وهى تسأل (منى) :

— أهو نائم ؟

هزَّت (منى) رأسها نفيًا ، وقالت :

— لا .. إنه لم يذُق طعم النوم منذ البارحة .

عادت (صوفيا) تتأمَّل (أدهم) فى إشفاق ، وغمغمت فى حنان :

— ما الذى يقلقه إلى هذا الحدّ ؟

أقلقت لهجتها الحنون (منى) ، وبعثت فى قلبها بعض الغيرة ، وهى تجيب :

— إنه غير راضٍ عما فعله حتى الآن .

هتفت (صوفيا) فى دهشة :

— كيف ؟.. لقد دمَّر معظم منشآت (المافيا) و.....

أجابها (أدهم) هذه المرَّة ، دون أن يفتح عينيه :

— هذا بالذات مايضايقنى ياعزيزتى (صوفيا) .

ثم فتح عينيه ، ونهض من مقعده ، وهو يردف فى ضيق :

— هذا الأسبوع الذى قضيته هنا ، جعلنى أرى الأمور على نحو مخالف .. لقد كشفت أننى من خلال صراعى مع

(المافيا) ، قد تحولت إلى مجرم مثلهم ، وليست هذه هي الوسيلة المثلى لمحاربة المجرمين .

هتفت (صوفيا) :

ـ ولكن الجميع يرون أنك بطل .

لوّح بذراعه ، وهو يقول :

ـ لا يعنيني ما يراه الجميع ، فكراهيتهم لـ (المافيا) جعلتهم يعجبون بأفعالي ، أما أنا فلا .

ساد الصمت لحظة ، وهو يتأمل البحر الممتد أمامه ، قبل أن يستطرد :

ـ إنني منذ البارحة أبحث عن وسيلة نظيفة للقضاء على (المافيا) ، دون تدمير المنشآت ، وتعريض العشرات للخطر .

وتهدّج صوته ، وهو يردف في حزن :

ـ وسيلة تشبه تلك التي كنا نفعلها إبان عملنا في المخابرات المصرية(*) .

تبادلت (منى) و(صوفيا) نظرات قلقة ، في حين استعاد صوت (أدهم) صرامته ، وهو يستطرد :

ـ إنني أخطط للجولة الأخيرة .. للضربة القاضية .

* * *

(*) راجع الجزء الثاني (شيطان المافيا) .. المغامرة (٤٨) .

٢ ـ بلا رحمة ..

تحرك (جروشو مانياني) في ردهة قصره في بطء ، عاقدًا كفّيه خلف ظهره ، وهو يقول لـ (سونيا جراهام) ، التي استرخت في ثوب قصير ، فوق أريكة أنيقة ، تدخن سيجارتها الرفيعة ، وتنفث دخانها في بطء :

ـ لم تتضح الأمور بعد يا (سونيا) .. فلقد اختفى (أدهم صبري) تمامًا ، وأوقف كل نشاطاته ضدنا ، وكأنما قرر أن ينهي المعركة عند هذا الحد .

مطّت (سونيا) شفتيها ، وقالت في هدوء :

ـ كلّا يا (جروشو) .. لقد أبلغني الرفاق في (الموساد) ، أن (أدهم صبري) قد فقد عمله في المخابرات المصرية ، بعد أن حطمناه بكشفنا له في الصحف ، وأصبح مجرد فرد عادي ، لا يتلقى أية مساعدات من المخابرات المصرية .. وهذا في حد ذاته يعد انتصارًا لنا ، وهزيمة لـ (أدهم) ، ستدفعه بالتالي إلى مزيد من القتال ، والرغبة في الانتقام .

استمع إليها (جروشو) فى اهتمام ، ثم لوح بكفه وهو يقول :

ــ ولكنى لن أنتظر حتى يبدأ قتاله يا (سونيا) ، إننى أسعى لمهاجمته أنا هذه المرّة .. أسعى لقلب المائدة على رأسه ، قبل أن يخطو خطوة واحدة .

ابتسمت (سونيا) فى غموض ، وقالت :

ــ سنفعل يا (جروشو) .. سنفعل .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى ارتفع رنين الهاتف ، فأسرعت تلتقط سمّاعته ، وتقول فى لهفة :

ــ هنا (سونيا جراهام) .. من المتحدث ؟

تألقت عيناها فجأة ، وهى تهتف :

ــ أهو أنت يا (كاهان) ؟.. كيف حالك ؟.. هل لديك أخبار جديدة ؟

ازداد تألق عينيها ، وهى تقول فى انفعال :

ــ هذا رائع !! لقد أنجزتم عملاً رائعًا يا (كاهان) .

ثم وضعت السمّاعة ، واستدارت تقول لـ (جروشو) فى مزيد من الانفعال :

ــ هل رأيت مايمكن أن يفعله (الموساد) يا (جروشو) ؟.. هل رأيت كيف أننا نتفوق على (المافيا) ؟

عقد (جروشو) حاجبيه ، وهو يسألها فى غضب :

ــ ماذا تعنين يا (سونيا) ؟

نهضت فى حماس ، وأطفأت سيجارتها فى عصبيّة ، وهى تقول :

ــ هل كنت تعلم أن الصحفية (صوفيا) تمتلك منزلاً أنيقًا على ساحل (نابولى) ؟

عقد (جروشو) حاجبيه ، وغمغم فى توتُّر :

ــ لا !! وماذا يعنيه ذلك ؟

ابتسمت فى فخر ، وأجابت :

ــ يعنى أن (أدهم صبرى) يختفى هناك يا (جروشو) ، ولقد رآه رجالنا يجلس فى شرفة المنزل منذ الصباح .. منذ شروق الشمس .

برقت عينا (جروشو) فى شراسة ، وغمغم وهو يضغط أسنانه فى قوة :

ــ رائع يا (سونيا) .. وأعتقد أن هذا سيكون آخر شروق يراه صديقنا (أدهم) ، فقبل الشروق التالى سيكون جثة هامدة .. سأقتله هذه المرّة بلا رحمة .. بلا رحمة على الإطلاق .

* * *

تناول الصحفىّ (فابيو) واحدا من أكواب القهوة ، التى أعدتها (صوفيا) ، وقال وهو يتطلّع إلى باب حجرة (أدهم) المغلق :

— عجيب (أدهم) هذا !!.. من لا يعرفه يظن أنه أكثر أهل الأرض خمولا .. إنه لم يغادر حجرته منذ الصباح .

أجابت (منى) فى هدوء :

— سيدهشك ما سيفعله عند مغادرتها يا سنيور (فابيو) .

ابتسمت (صوفيا) ، وهى تقول فى حنان :

— إنه يدهشنى دائمًا ، فهو رجل عظيم .

عقدت (منى) حاجبيها ، وقالت فى غيْرة :

— إنه لم يعُد يدهشنى على الأقل .

فتح (أدهم) باب حجرته فجأة عند هذه النقطة ، وابتسم وهو يقول فى هدوء :

— قلبى يحدّثنى أنكم تتحدّثون عنىّ .

ضحك (فابيو) ، وقال :

— يا إلهى !!.. إننا نفعل منذ الصباح يا رجل ، وها نحن أولاء فى الحادية عشرة والنصف مساءً ، ولم نرك بعد .

قالت (منى) فى اهتمام :

— هل توصّلت إلى الخطّة المناسبة يا (أدهم) ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال :

— إلى حدّ ما يا عزيزتى (منى) .

كادت (منى) تسأله عن تفاصيل الخطّة ، لولا أن اندفعت (صوفيا) تقول فى لهفة :

— ألا ترغب فى تناول الطعام ؟

ارتسمت على شفتى (أدهم) ابتسامة جذابة ، وهو يقول :

— سأتناول أى شىء مادمت أنت ستعدّينه يا عزيزتى (صوفيا) .

تهلّلت أسارير (صوفيا) ، فى حين قطّبت (منى) حاجبيها ، وقالت فى سخط :

— ألن نتحدث فى تفاصيل الخطّة أوّلًا ؟..

اندفع (فابيو) يقول :

— نعم .. كنت أحبّ أن ....

قاطعه (أدهم) فجأة بإشارة من يده ، وبدا وكأنه يصغى فى اهتمام بالغ ، إلى شىء ما ، مما أثار قلق الجميع ، وهمست (منى) وقد عاودها شعور المخاطرة :

— أهناك شىء ما ؟

أجابها (أدهم) ، وهو يقطّب حاجبيه :

— أعتقد يا (منى) .. لقد خُيّل إلىّ أننى أسمع صوت مدفع رشاش يُعَدُّ للاستعمال .

هتف (فابيو) فى دهشة :

— مدفع رشـ ....

قاطعه (أدهم) مرّة أخرى بإشارة من يده ، وقال فى صوت هادئ :

— صمتًا يا سنيور (فابيو) .

وفى خفّة النمر تسلّل (أدهم) إلى نافذة الرُّدهة ، واختلس نظرة سريعة منها ، ثم ابتسم فى سخرية ، وقال :

— لقد خلا الطريق فجأة من المارّة يا سادة ، وأعتقد أن الجولة القادمة لنا مع أوغاد (المافيا) ستبدأ بعد لحظات .

* * *

٣ ــ الهجوم الليلى ..

أتقن رجال المافيا خُطّتهم بقدر الإمكان هذه المرّة ، وعملوا فى خفّة ومهارة ، باذلين أقصى جهدهم كيلا يشعر بهم (أدهم) ، إلّا فى اللحظة الحاسمة ..

فى البداية عزلوا منزل (صوفيا) عن كل البيوت المحيطة به ، وأخلوها من سكانها فى صرامة وقسوة ، وهم يحذّرونهم من التفوّه بكلمة واحدة ، ثم عزلوا تلك المنطقة من الشاطئ والطريق فى سرعة وخشونة ، حتى أصبحت لهم السيطرة الكاملة على المنطقة ..

وهنا بدءُوا زحفهم الحذر للإحاطة بـ (رجل المستحيل) ورفاقه ، وكل اثنين منهما معًا فى زحفهما ..

كانو ثلاثين رجلًا مسلحًا بالمدافع الرشاشة ، يتحركون نحو المنزل فى خفّة ، وبدت الخُطّة هذه المرّة شديدة الإحكام ، حتى أن أحدهم همس فى أُذن رفيقه فى فخر :

— أراهنك أنه لن يفلت هذه المرّة .. لقد صاغ دون (جروشو) خُطّته فى مهارة .



أمسك (أدهم) بالرجلين ، وجذبهما بعيدًا عن المنزل ..

أجابه زميله فى همس حذر :

ـــ انتظر حتى نصل إليه يا رجل .. إننى لن أثق بالفوز على هذا الشيطان ، حتى أراه جثة هامدة تحت قدمىّ .

انتفض جسداهما فجأة ، حينما سمعا همسًا ساخرًا ، يقول من خلفهما :

ـــ أفسحا الطريق أيها الوغدان ، فأنتما تعوقان الطريق إلى المنزل .

استدار الرجلان إلى مصدر الهمس فى سرعة وذُعر ، وقد قرّر أحدهما إطلاق النار على المتحدث ، فى حين اعتزم الآخر الصراخ لتنبيه باقى الرجال ، ولكن أحدهما لم يصل إلى ما كان يسعى إليه ، فقد هوت قبضة (أدهم) اليمنى على فك أيسرهم كالقنبلة ، وانطلقت قبضته اليسرى تهشّم أنف الثانى كالصاعقة ، ليسقط الرجلان فى صمت ..

أمسك (أدهم) بالرجلين ، وجذبهما بعيدًا عن المنزل ، ثم أسرع إليه فى خفّة الفهد ، وتسلّل إلى سيارة (صوفيا) ، التى قبعت ساكنة هناك ، واحتل مقعد القيادة ، وهمس متحدثًا إلى (منى) ، التى تجلس إلى جواره ، و(صوفيا) و(فابيو) اللذين يجلسان فى المقعد الخلفى :

— اخفضوا رءوسكم جميعًا ، فما أن أدير المحرّك ، حتى تجدوا أوغاد (المافيا) فى كل مكان .

سأله (فابيو) فى قلق :

— هل تظن أنهم يجرءُون على إطلاق النار ، على الرغم مما قد ينشأ عن ذلك من تنبيه لرجال الشُرطة ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

— رجال الشرطة ؟!.. سينهمر الرصاص علينا كالمطر ، قبل أن يصل أول رجل شرطة يا صديقى .

غمغمت (صوفيا) فى قلق :

— وهل ستصمد السيارة ، أمام كل هذا الوابل من الرصاصات ؟

هزّ (أدهم) كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

— لست أدرى يا عزيزتى (صوفيا) سنختبر ذلك بعد لحظات .

ثم أردف وهو يدير محرّك السيارة :

— ويا له من اختبار !!

* * *

لم يكد صوت محرّك السيارة يرتفع ، حتى تسمّر رجال (المافيا) جميعهم دفعة واحدة ، ثم صاح زعيمهم فى توتُّر :

— اللعنة !! إنهم يحاولون الفرار بالسيارة .. أسرعوا إلى هناك .

اندفع رجال (المافيا) كلهم إلى مكان السيارة ، التى اندفع بها (أدهم) بغتة ، محطِّمًا بابه الخشبىّ ، ومنطلقاً وسط رجال (المافيا) ، فى حين جلست إلى جواره (منى) ، التى أبرزت مدفعها الرشاش من نافذة السيارة المجاورة لها ، وأطلقت منه النيران فى غزارة ، وجاوبتها رصاصات رجال (المافيا) ، التى هبطت على السيارة كالمطر ، محطِّمَة هدوء (نابولى) ، ومحوِّلة إيّاها إلى حلبة للصراع ..

تلقَّت السيارة المسكينة عشرات الرصاصات ، فتحطم زجاجها الأمامى برصاصة مرقت إلى جوار أذن (أدهم) تمامًا ، وأخرى خدشت ذراع (منى) ، وثقب أبوابها الأربعة بعض الطلقات النارية ، وأنَّ هيكلها المعدنىّ من فرط ما ارتطم به من رصاصات ، ولكنها أطاعت قائدها الجسور ، الذى كان يدير عجلة القيادة فى مهارة ، ليدور حول رجال (المافيا) ، أو يرتطم بعضهم ، ليشق طريقه خارج حصارهم ، وصاح زعيمهم فى جنون :

— الإطارات .. أطلقوا النار على الإطارات .

سمع ركاب السيارة الأمر فى اللحظة نفسها ، فزاد (أدهم) من سرعة انطلاقه ، حتى لهث محرّك السيارة ، وهو يحاول الاستجابة لأوامره ، وأصيبت عجلة قيادتها بالجنون ، و(أدهم) ينطلق بها فى خطّ متعرّج ، محاولاً تفادى سيل الرصاصات ..

وفجأة .. انفجر إطار السيارة الأمامى الأيسر ، وتبعه الخلفى الأيمن ، وترنّحت السيارة ، وتأرجحت ، وبات من المحتّم أن تنقلب رأسًا على عقب .

ولكن قائدها كان (أدهم صبرى) .

كان (رجل المستحيل) ..

تحوّلت قبضتا (أدهم) إلى قطعتين من الفولاذ ، وهو يقبض على عجلة القيادة ، وتحرّكتا فى الوقت ذاته كمطّاط لدن ، وهو يديرها فى خفّة ومهارة مذهلتين ، ليحافظ على توازنها ، ويواصل اندفاعها عبر رجال (المافيا) ..

صاحت (منى) وهى تشير إلى نقطة على الطريق :

— يا إلهى !!.. لقد أقاموا حاجزًا خشبيًا .. لقد منعوا المرور من المنطقة .

لم يبال (أدهم) بعبارتها ، وإنما صاح فى صرامة :

— احنى رأسك يا (منى) .

حنت (منى) رأسها فى اللحظة ذاتها ، التى اندفع فيها (أدهم) نحو الحاجز الخشبىّ ، غير مبالٍ بالرصاصات التى انطلقت نحوه ، ثم حنى رأسه بدوره ، عندما ارتطم بالحاجز ، الذى صدمه الجزء العلوى من السيارة فى قوة ، كان لها صوت كالقنبلة ، وأطار سقف السيارة تمامًا ، فى حين واصل (أدهم) اندفاعه بها ، ليبتعد عن منطقة الحصار ..

امتزجت أصوات رصاصات رجال (المافيا) بضحكة (أدهم) الساخرة ، وهو يقول :

— لقد نجونا هذه المرّة أيضًا يا سادة .

اعتدلت (صوفيا) ، ورفع (فابيو) رأسه فى ذهول ، مع تأرجح السيارة القوىّ ، وهى تندفع بأقصى سرعتها ، مع وجود إطارين تالفين ، ثم هتفت (صوفيا) فى ذهول :

— لقد تحوّلت سيارتى الجديدة إلى حطام .

غمغم (فابيو) فى سخط :

— صه يا (صوفيا) .. المهم أنك أنت سليمة .

أدهشه (أدهم) ، حينما قال فى هدوء :

— أعتقد أننا لن نبقى هكذا طويلاً يا صديقى ، فقد ثقبت

رصاصات هؤلاء الأوغاد خزان الوقود ، ومبرّد السيارة ، ولن تلبث أن تتوقف .. وأعتقد أن سيارات هؤلاء المجرمين ستلحق بنا بعد لحظات .

اتسعت عينا (صوفيا) رعبًا ، في حين هتف (فابيو) في ذعر :

ـ يا إلهي !!.. بعد كل هذه المعجزات التي فعلتها !!

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتجفت السيارة في قوة ، وأصدر محركها صوتًا كحشرجة قوية ، قبل أن يهدر هدرته الأخيرة ، وتتوقف السيارة تمامًا ..

هتفت (منى) في حنق :

ـ يا إلهي !!

قفز (أدهم) خارج السيارة ، وهتف في لهجة آمرة :

ـ اتبعوني يا رفاق .. سنحاول الاختفاء في هذه الغابة القريبة و ....

غمرتهم فجأة أضواء سيارة قادمة من الاتجاه الآخر ، فبتر (أدهم) عبارته ، وعقد حاجبيه في حزم ، وهو ينتزع مسدسه من حزامه ، ويشير إليهم ، قائلًا :

ـ اختفوا داخل السيارة ، فربما كان هؤلاء الأوغاد قد أعدّوا لخطة احتياطية لمباغتتنا في حال هروبنا .

قفزت (منى) إلى جواره ، وهي تمسك مدفعها الرشاش ، وقالت في صرامة :

ـ في هذه الحالة سأشاركك المصير نفسه .

لم يعلّق (أدهم) على عبارتها ، وإنما ظل صامتًا ، جامد الملامح ، وقد تعلّق بصره بالسيارة القادمة ، التي اقتربت منهم في سرعة ، حتى أصبحت أمامهم تمامًا ، فتوقفت ، وأغشى ضوءها القوي عيونهم لحظة ، قبل أن يرتفع من داخلها صوت مرح ، يقول باللغة العربية :

ـ يا إلهي !!.. أهكذا تستقبلان صديقًا قديمًا ؟.. بمسدس ومدفع رشاش ؟

اتسعت عينا (منى) في دهشة ، في حين عقد (أدهم) حاجبيه ، وغمغم في سخرية :

ـ أحقًا ما أسمع ؟

أطفأ قائد السيارة ضوءها المبهر ، وغادرها في بطء وهو يبتسم في مرح ، ولم تكد (منى) ترى جسده البالغ البدانة ، حتى هتفت في جذل عصبي :

ـ يا إلهي !!.. كم تسعدني رؤيتك في هذه اللحظة يا (قدري) .. إنك تبدو لي كملاك حارس .

ضحك (أدهم) ، وهو يقول فى سخرية :

ــ ولكنه أكثر الملائكة الحارسة بدانة ياعزيزى .

أطلق (قدرى) ضحكته المجلجلة المرحة ، فى حين اندفع (أدهم) يصافحه فى حرارة ، أمام أعين (فابيو) و(صوفيا) المذهولتين ، وسأله فى اهتمام :

ــ أليس من العجيب أن نلتقى بك هنا ، فى هذه اللحظة بالذات ياصديقى ؟

تطلَّع (قدرى) إلى الطريق ، ثم قال فى مرح :

ــ الأمر يبدو لى مذهلاً بقدر ماهو مفرح ياأعز الأصدقاء .. ولكننى سأؤجل الشرح حتى نبعد عن هنا .. فمرأى هذه السيارة المسكينة يؤكد لى أنكم خرجتم لتوّكم من مطاردة قاسية .

ثم أشار إلى الأضواء التى تقترب بسرعة ، وأردف :

ــ وأن المطاردة لم تنته بعد .

* * *

٤ ــ الهديَّـة ..

احتلَّ (أدهم) مقعد القيادة فى سيارة (قدرى) ، وجلس هذا الأخير إلى جواره ، فى حين تكدَّس (فابيو) و(صوفيا) و(منى) فى المقعد الخلفى ، وهتف (قدرى) فى مرح :

ــ هل تعلم أنها أول مرَّة أشارك فيها فى إحدى مطارداتك يا (أدهم) ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال هو ينطلق بالسيارة :

ــ معذرة ياصديقى .. ولكننى لن أمنحك هذه الفرصة .

هتف (قدرى) فى دهشة :

ــ كيف ؟!.. إنهم يطاردوننا .. أليس كذلك ؟

ضحك (أدهم) ، وقال فى بساطة :

ــ لا ياصديقى .. إنهم ينطلقون خلف سيارة (صوفيا) ، ولكننا سننطلق بسرعة إلى جوارهم ، فى الاتجاه المضاد ، عائدين إلى (نابولى) ، ولن يشك أحدهم لحظة فى أننا نملأ سيارتك .

ضحك (قدرى) فى جذل ، وقال :

— هل تعنى أنك ستخدعهم ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال وهو يعبُر سيارات (المافيا) الخمس فى سرعة :

— لقد فعلنا بالفعل يا صديقى .

قهقه (قدرى) فى جذل ، وقال :

— أنت رائع دائمًا يا صديقى !! حتى فى الإدبار .. فمن المفروض أنهم فاجئوكم بالهجوم ، ولن يتوقَّعوا حصولكم على سيارة أخرى بهذه السرعة .. وأراهن أنهم سينهمكون حتى الصباح فى تفتيش المنطقة المحيطة بالسيارة المحطَّمة .

وتألقت عيناه مرحًا ، وهو يردف فى خبث :

— هل تعلم أننى أفضِّل ذلك ؟ فلقد دفعت تأمينًا ضخمًا لاستئجار هذه السيارة الفاخرة ، وسيؤلمنى تحطمها فى مطاردة .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

— إنك لم تخبرنى بعد كيف وصلت إلى هنا يا صديقى البدين ؟

هتف فى مرح :

— سأخبرك بكل شىء يا صديقى ، حينما نصل إلى المنزل .

غمغمت (منى) فى دهشة :

— المنزل ؟!

أجابها (قدرى) فى سعادة :

— نعم يا عزيزتى .. لقد استأجرت لكم منزلًا أنيقًا فى قلب (روما) نفسها ، وسنصل إليه من طريق آخر .. صحيح أنه كلَّفنى كل مدخراتى تقريبًا ، ولكن هذا لا يساوى شيئاً ، مادمت سأشارك هذه المرَّة فى إنقاذ (رجل المستحيل) .

وأردف فى مرح :

— أى فخر يفوق هذا ؟

* * *

ألقى (فايبر) جسده المنهك فوق أقرب المقاعد إلى باب الشقة الفاخرة ، التى استأجرها (قدرى) فى قلب (روما) وهتف فى راحة :

— يا إلهى !!.. لم أظن أننا سنصل إليها أبداً .

واشتركت (صوفيا) و(منى) فى الجلوس على الأريكة الواسعة ، باديتى الإرهاق ، فى حين أشار (قدرى) إلى الشقة ، وقال فى مرح :

— هل أعجبتك شقتى فى (روما) يا عزيزى (أدهم) ؟

أمسك (أدهم) بكتف (قدرى) ، وقال فى هدوء :

— إنك لم تجب عن سؤالى بعد يا صديقى .. كيف فعلت كل هذا ؟.. إننا نقيم معًا فى القاهرة ، ولكننا لم نلتق مرّة واحدة بالمصادفة .. فكيف تأتى هذا فى (إيطاليا) ؟

ابتسم (قدرى) ، وقال :

— الأمر ليس مصادفة بحتة يا صديقى ، وإنما تحتل المصادفة الجزء الأخير منه فقط .

عقد (أدهم) ساعديه أمام صدره ، وقال :

— حسنًا .. أنا فى غاية الشوق لسماع القصة كلها .

أطرق (قدرى) لحظة فى صمت ، ثم عاد يرفع رأسه ، قائلًا :

— لقد خالفت قوانين المخابرات كلها ، حينما أصررت على البقاء فى (روما) بعد تحطُّم كفِّى ، ومصرع (حازم) يا (أدهم) .. ولقد صدر بناء على ذلك قرار جمهورى بفصلك وحرمانك من معاشك ورتبتك ، كما أخبرتك (منى) ولا شك بعد أن هرعت إلى هنا فور استقالتها .. ولكن أحدًا فى الإدارة لم ينس أنك إنما فعلت ذلك للانتقام ممن أساءوا إلى أحد

رجال المخابرات المصرية ، كان من الممكن أن يكون أيهم .. ونظرًا لأن اللوائح والقوانين تمنع مكافأتك فى حال فصلك ، فقد قرّرنا جميعًا ، بما فى ذلك المدير ، أن نمنحك هديّة .. هديّة وداع .

تطلعت (منى) إليه فى حيرة ، فى حين عقد (أدهم) حاجبيه ، وغمغم فى هدوء :

— هديّة ؟!

أومأ (قدرى) برأسه إيجابًا ، وقال :

— نعم يا صديقى .. ولمّا كانت الهديّة تتناسب والضرورة مع مكانة صاحبها وقدراته ، فقد كان من المحتّم أن تكون هدية المخابرات العامة المصرية إليك شيئًا فريدًا .

ابتسم لحظة ، ثم عاد يردف :

— ولمّا كان من الطبيعى أن نعثر عليك لتسليمك الهديّة ، بدأ رجالنا فى التنقيب عنك ، مستخدمين كل قدرات المخابرات المصرية ، ومهارتها ، وخبرائها ، وخبراتها .. أضف إلى ذلك معرفتها التامة بك ، وبأسلوبك ، التى قادتهم إلى استنتاج مكان اختبائك ، بعد معرفتهم بوجود منزل صيفى لـ (صوفيا) ، وكُلفت أنا تسليمك الهديّة ، فحضرت إلى

هنا ، واستأجرت ذلك المنزل الأنيق ، وهذه السيارة الفاخرة ، وكنت فى طريقى إليك حينما التقينا .

ظهر التأثر على وجه (أدهم) لحظة ، ثم غمغم :

ــ وما نوع الهدية ياصديقى ؟

التقط (قدرى) حقيبة كبيرة ، وضعها فوق المائدة ، وفتحها وهو يقول :

ــ ها هى ذى ياصديقى ..

ثم أشار إلى محتويات الحقيبة العديدة ، وقال :

ــ حقيبة أدوات تنكُّر كاملة ، بها أحدث ما توصلت إليه مختبراتنا لتلوين البشرة والشعر والعينين ، وكل الأدوات اللازمة لصنع أقنعتك التى تهواها .. ومجموعة من أحدث أجهزة التصنُّت ، وأقواها ، وأصغرها .. وبعض الخامات اللازمة لصنع المتفجّرات سريعة المفعول .. ومسدس أنيق ، يمكن تحويله الى مدفع رشاش عند الضرورة .. وأخيرًا جواز سفر خاص ، يتيح لك العودة إلى القاهرة ، وقتما يحلو لك .. جواز سفر ديبلوماسى .. ما رأيك فى هديتنا إليك يا صديقى ؟

لم يزد (أدهم) على أن قال فى صوت متهدّج :

ــ عظيمة .

ثم أشاح بوجهه إلى النافذة ، وكأنه يخفى الانفعال العاطفى ، الذى سرى فى ملامحه ، وسار إليها فى خطوات بطيئة ، ووقف يتطلّع من خلالها بعض الوقت ، ثم استدار إليهم قائلًا :

ــ لقد أسعدتنى تلك الهدية جدًا يا (قدرى) ، وإننى أعتبرها إشارة لى بالمضىّ قدمًا فى انتقامى من (المافيا) .. وفى توجيه ضربتى القاضية إليهم .

* * *



٥ ـ وبدأت الجولة الأخيرة..

جلس (جروشو) في حجرة مكتبه صامتًا مهمومًا ، وقد شبك أصابع كفيه أمام وجهه ، فقالت (سونيا) وهي تدير أسطوانة موسيقية هادئة :

ـ لا تكتئب إلى هذا الحد يا (جروشو) .. إذا كنا قد فشلنا هذه المرة ، فلن نلبث أن ننتصر في جولة قادمة .

رفع عينيه إليها ، وغمغم في ألم :

ـ متى ؟

ثم عاد يهتف بغتة في عصبية :

ـ متى يا (سونيا) ؟!.. لقد أعددت هذه المرة خطة شديدة الإحكام ، لا تسمح لذبابة بالإفلات من حصار رجالي ، ثم إذا بهذا الشيطان ينسل من بين أصابعهم كالزئبق ، ويختفي عن عيوننا مرة أخرى .

قالت في هدوء ، وهي تسترخي فوق الأريكة المقابلة لمكتبه :

ـ إنه لن يختفي إلى الأبد ، وإلا لرحل إلى وطنه ، ومادام باقيًا ، فلابد له من القيام بضربة أخرى .

نهض من مقعده ، وضرب سطح مكتبه ، وهو يقول في غضب :

ـ متى يا (سونيا) ؟!.. متى ؟.. وأين ؟

عقدت حاجبيها وهي تقول :

ـ لا يمكنك استنتاج خطوة قادمة ، لـ (أدهم صبري) .. إنه يضرب دائمًا حيث لا يتوقع ظهوره أحد .

ثم أردفت في تفكير :

ـ وربما كان هذا هو النسق الوحيد ، الذي يتبعه باستمرار .

لم يكد يتم عبارته حتى ظهر أحد رجاله ، قال :

ـ هناك مفتش شرطة يطلب مقابلتك يا (دون) .

تضاعفت عصبية (جروشو) ، وصاح وهو يلوّح بكفيه :

ـ ماذا أصاب مفتشي الشرطة في هذه المدينة ؟.. لقد قابلت منهم في الأسبوعين الماضيين أكثر مما قابلت في حياتي كلها .

ثم زفر في حنق ، وأردف :

ـ دعه يدخل ، ولنر ماذا يريدون هذه المرة .

لم يمض وقت طويل حتى ظهر المفتش (مارشيللو) ، أمام باب المكتب ، وارتسمت على وجهه ابتسامة جافة ، وهو يقول :

ــ مساء الخير ياسنيور (جروشو) ، أنا المفتش (مارشيللو) من ....

قاطعه (جروشو) ، وهو يقول فى لهجة خالية من الود :

ــ ماذا تريد أيها المفتش ؟

ألقى المفتش نظرة فاحصة سريعة على (سونيا) ، ثم ابتسم ابتسامة خبيثة ، وقال :

ــ هل قرأت شيئاً عما حدث فى (نابولى) بالأمس ياسنيور (جروشو) ؟

أجابه (جروشو) فى برود :

ــ لا ..

ازدادت ابتسامة (مارشيللو) خبثاً ، وهو يقول :

ــ يسعدنى أن أخبرك به ياسنيور (جروشو) .

أشاح (جروشو) بوجهه ، وغمغم فى سخط :

ــ ليست بى رغبة لذلك .

تجاهل (مارشيللو) اعتراض (جروشو) ، وقال :

ــ لقد نشبت مساء أمس معركة بالرصاصات ، بين رجال (المافيا) ، وذلك الرجل الذى يسمونه (شيطان المافيا) .

زمجر (جروشو) ، وهو يقول فى غضب :

ــ هذا لا يعنينى .

واصل المفتش ، وكأنه لم يسمع اعتراض (جروشو) :

ــ ولكنه هزمهم كالعادة ، وفرّ تحت سمعهم ، وبصرهم .

أدار (جروشو) وجهه إلى المفتش فى حدّة ، وعقد حاجبيه ، وهو يهتف فى غضب :

ــ ماذا تريد أيها المفتش ؟

أجابه (مارشيللو) فى سرعة :

ــ إننى أحاول إنهاء هذه الحرب ، التى تسىء إلى أمن البلاد ياسنيور (جروشو) .

هتف (جروشو) ، وهو ينهض من خلف مكتبه فى حدّة :

ــ ألق القبض على شيطان (المافيا) هذا إذن .

قال (مارشيللو) فى هدوء :

ــ هل تظن هذا يكفى ياسنيور (جروشو) ؟

تضاعف الغضب فى ملامح (جروشو) ، واقترب فى

خطوات بطيئة من المفتش ، وتطلّع في عينيه مباشرة ، وهو يقول :

— هل أتيت لتخبرني هذا فقط أيها المفتش ؟

لم يبد الاضطراب لحظة على وجه المفتش ، بل ابتسم ، وقال في هدوء ، وهو يواجه زعيم الجريمة في العالم :

— كلا يا سنيور (جروشو) .. لقد أتيت إلى هنا في مهمة رسمية .

لاح الاهتمام في ملامح (سونيا) ، وهي تنفث دُخان سيجارتها في قوة ، وعقدت حاجبيها الجميلين ، وهي تتفرس في ملامح المفتش في اهتمام ، في حين سأله (جروشو) في دهشة :

— مهمة رسمية ؟!.. أيّة مهمة هذه ؟

بدا صوت المفتش باردًا كالثلج ، وهو يجيب :

— لقد تلقينا بلاغًا من مجهول ، يدّعي فيه أنك تعمل لحساب جهاز مخابرات ، تابع لدولة أجنبية يا سنيور (جروشو) ، ولكي أكون أكثر دقّة ، فهو يقول إنك تعمل لحساب (الموساد) .

توتّرت أعصاب (سونيا) ، وتسلّلت يدها في هدوء إلى

حقيبتها ، في حين بدا صوت (جروشو) مضطربًا ، ومتوترًا ، وهو يقول :

— (الموساد) ؟!.. من أوحى لكم بهذه الحماقة أيها المفتش ؟

ابتسم المفتش في سخرية ، وقال :

— ليست حماقة تمامًا يا سنيور (جروشو) .

ثم التفت إلى (سونيا) ، وقال في صرامة :

— إلا إذا كان لديك تفسير آخر ، لوجود السنيورا (سونيا جراهام) هنا ، في قصرك .

تراجع (جروشو) في ذهول ، في نفس اللحظة التي قفزت فيها (سونيا) ، وصوّبت مسدسها الصغير ، الذي التقطته من حقيبتها ، إلى رأس المفتش (مارشيللو) ، وهي تهتف في حِدّة وشراسة :

— انتهت اللّعبة يا سادة .. يمكنك أن تنزع تنكّرك الآن أيها المفتش ، أو بمعنى أدق .. يا (أدهم صبري) .

* * *



فى حين بدا صوت (جروشو) مضطربًا ، ومتوترًا ، وهو يقول :
ـــ (الموساد) ؟!.. من أوحى لكم بهذه الحماقة أيها المفتش ؟

٦ ـــ ضربة منتصف الليل ..

كانت خطوة (سونيا) جريئة ، مفاجئة ، حتى أن (جروشو) لم يستطع النطق بكلمة واحدة ، وهو يحدّق فيما يحدث بذهول ، فى حين ابتسم المفتش (مارشيللـو) فى سخرية ، وقال :

ـــ أيمكننا اعتبار هذا اعترافًا يا سنيورا ؟

أطلقت (سونيا) ضحكة عصبيّة ، وقالت :

ـــ أى اعتراف تنشد يا سيّد (أدهم) ؟.. أنت الذى ينبغى أن يعترف بالسبب ، الذى دعاك لمحاولة الإيقاع بين (المافيا) و(الموساد) .

تألقت عينا المفتش ، وغمغم فى انفعالٍ :

ـــ يا إلهى !!.. هذا اعتراف ثانٍ .

اندفعت يد (سونيا) إلى أنف المفتش الضخمة تجذبها ، وهى تقول فى غضب :

ـــ كفى يا (أدهم) ، لقد بالغت فى أداء دورك هذه المرّة ، و ....

تصلّبت الكلمات فى حلقها ، وشحب وجهها ، وارتجفت أطرافها ، وهى تغمغم فى ذهول :

ـــ يا للشيطان !!

أزاح المفتش (مارشيللو) يدها عن أنفه ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ معذرة يا سنيورا .. لقد ولدت بهذا الأنف ، وقضيت به عمرى كله ، ولا أظنه يرغب فى مفارقتى الآن .

ظلّ (جروشو) و(سونيا) يحدّقان فى وجه المفتش لحظة فى ذهول ، ثم أطلقت (سونيا) ضحكة عصبيّة ، وقالت :

ـــ هل أعجبتك دُعابتى أيها المفتش ؟

أجاب (مارشيللو) فى برود :

ـــ أيّة دُعابة يا سنيورا (سونيا) ؟

حدّقت (سونيا) فى عينيه ببرود مماثل ، وقالت :

ـــ ماذا تريد بالضبط أيها المفتش ؟

ابتسم (مارشيللو) ، وقال :

ـــ أعتقد أننى حصلت على ما أريد يا سنيورا ، فاعترافين على هذه الصورة لا يمكن إهمالهما .

تدخّل (جروشو) فى الحديث ، قائلاً فى هدوء :

ـــ السنيورا (سونيا) لم تقل شيئاً أيها المفتش .

عقد (مارشيللو) حاجبيه ، وقال :

ـــ لقد سمعناها معًا و ....

قاطعه (جروشو) فى صرامة :

ـــ أنا لم أسمع شيئاً ، ولم أقر شيئاً مما تدّعيه .

ظهر الغضب على وجه (مارشيللو) لحظة ، ثم لم تلبث الابتسامة الساخرة أن عادت إلى شفتيه ، وهو يقول :

ـــ ليكن يا سنيور (جروشو) ، سنعتبر أننا لم نسمع شيئاً .

ثم أردف فى صرامة :

ـــ ولكن ثق أن كل خطوة ستخطوها السنيورا (سونيا) منذ هذه اللحظة ، ستخضع لرقابة صارمة .. فالجاسوسية تختلف تمامًا عن العمل الإجرامى يا ... يادون (جروشو) .

قال عبارته ، وأسرع يغادر حجرة المكتب ، التى ران عليها الصمت ، فى خطوات واثقة ، سريعة ، قويّة ، ولم يكد يختفى فى الممّر المقابل حتى ضحكت (سونيا) فى عصبيّة ، وقالت وهى تلوّح بكفّها :

ـــ مجرّد حديث لا معنى له .

أجابها (جورشو) في صرامة :

— بل يحمل الكثير من المعاني يا (سونيا) ، وأقلها ضرورة انسحابك من العملية ، والعودة إلى دولتك فورًا .

اتسعت عينا (سونيا) ، وهتفت في استنكار :

— ماذا تقول يا .... ؟

قاطعها في صرامة أشد :

— إنني أعني كل كلمة نطقت بها يا (سونيا) .. منذ إنشاء منظمة (المافيا) في صقلية ، مع بدايات هذا القرن ، على يد (دون كيرليون) ، حرصنا أشد الحرص ، على ألا نتعرض أبدًا للأمور التي تمس الأمن الخارجي ، لأية دولة نتغلغل فيها ، وأصبح هذا مع نمو المنظمة ، وانتشارها ميثاقًا غير مكتوب ، ولقد كانت هذه حكمة بالغة من (دون كيرليون) ، فتحدينا للأمن الداخلي يثير حفيظة رجال الشرطة والبحث الجنائي حقًا ، ولكن إلقائهم القبض على أي فرد منا يستلزم أدلة ، وبراهين ، وتعقيدات إدارية لا حصر لها ، تساعدنا روتينيتها على الفرار في الوقت المناسب ، أما من يحافظون على الأمن الخارجي ، كرجال المخابرات ، ومكافحة الجاسوسية ، وخلافهم ، فهم لن يسمحوا باستمرار وضع يعرّض دولتهم

للخطر ، لمجرّد عدم وجود دليل .. إنهم في هذه الحالة يضربون بلا رحمة ، ويحطّمون بلا هوادة .

كانت (سونيا) تعلم أن كل كلمة نطق بها حقيقة ، لا تقبل الجدل ، ولكنها قالت في اعتراض :

— مجرّد لغو .

عقد (جورشو) حاجبيه في غضب ، وقال في صرامة :

— كفى يا (سونيا) .. إنني لن أقبل منك كلمة واحدة بعد هذه اللحظة .

ثم نظر إلى ساعة الحائط ، وقال :

— عندما تشير عقارب هذه الساعة إلى منتصف الليل تمامًا ، سآمر رجالي بقتلك ، إذا كنت لا تزالين هنا في قصري .

ثم اندفع خارج حجرة مكتبه ، دون أن يسمح لها بنطق حرف واحد ، ولم يرَ تلك النظرة القاسية التي حدّجته بها قبل أن تغمغم في غضب :

— لقد أحسنت اللعبة هذه المرّة يا (أدهم صبري) .. لقد أتقنت أداء لعبتنا القديمة (فرّق تسد) .

ونظرت إلى عقارب الساعة ، التي أشارت إلى التاسعة

والنصف ، ثم التقطت سماعة الهاتف فى عصبية ، وأدارت رقما خاصًا ، وأشعلت سيجارتها بأصابع متوترة ، وهى تستمع إلى الرنين فى الجانب الآخر .. ولم تكد تسمع صوت المتحدث حتى قالت فى صوت خفيض ، واضح الحنق :

— (كاهان) .. أريد منك أن تجنّد كل رجالنا فى (روما) للبحث عن (أدهم صبرى) .. أريد منهم أن ينبشوا كل شبر فى المدينة ، ويدفعوا كل الرشاوى الممكنة ، التى تكفى لحل الألسنة .

ثم صاحت فى غضب :

— أريد (أدهم صبرى) قبل منتصف الليل ، بأى ثمن .. هل تفهمنى يا (كاهان) ؟ .. بأى ثمن .

* * *



٧ — الرجل .. والمدينة ..

الساعة العاشرة تمامًا ، من مساء اليوم نفسه ..

اجتاز مدير مكتب مكافحة التجسّس الإيطالى ، بوّابة وزارة الدفاع الإيطالية فى سرعة وانفعال ، وأسرع نحو رهط من الرجال ، الذين أدّوا التحية العسكرية فى احترام ، قبل أن يسألهم المدير :

— أين هو ؟.. هل ضبطتموه متلبّسًا ؟

أشار أحد الرجال إلى حجرة جانبية ، وقال فى حزم اكتسبه من العمل فى هذا المجال :

— لقد تسلّل إلى هنا فى مهارة مذهلة يا سيّدى ، ولقد ضبطه أحد حراس المبنى ، وهو يقوم بتصوير بعض الوثائق السرّيّة العسكرية ، ولكنه لم يقاوم قطّ .. بل استسلم فور ضبطه ، وهو يلعن (جروشو مانيانى) فى سخط .

عقد المدير حاجبيه ، وغمغم :

— (جروشو مانيانى) ؟!.. ولكن لم يسبق لـ (المافيا) قط التورّط فى عملية تجسّس .

ثم أسرع إلى داخل الحجرة ، ووقف لحظة يتطلع إلى الشاب القوى ، مفتول العضلات ، أسود الشعر ، أخضر العينين ، ثم اندفع نحوه ، وقال يسأل أحد الرجال المحيطين به :

— هل استجوبتموه ؟

غمغم أحدهم :

— كنا ننتظر حضورك يا سيّدى .

رفع الشاب عينيه إلى مدير مكتب مكافحة التجسُّس ، وقال فى ضراعة :

— سأدلى باعتراف كامل ياسنيور ، وسيخفف هذا من عقوبتى .. أليس كذلك ؟

أجابه المدير ، وهو يشعل سيجارته فى توتُّر :

— بلا شك .. بلا شك يا بنىّ .. أريد أن أعرف أوّلا من أرسلك ؟.. ولماذا ؟

أسرع الشاب يقول :

— سنيور (جروشو) ياسنيور .. إنها ليست أول مرّة يأمرنى فيها بتصوير مثل هذه الوثائق و ....

قاطعه المدير فى ذهول :

— ليست أول مرّة ؟!.. هل تعنى أنك فعلت هذا من قبل ؟

لوّح الشاب بكفّيه ، وكأنه يدافع عن نفسه ، هاتفا فى خوف :

— مرّتين أو ثلاث مرات على الأكثر ياسنيور .. أقسم لك .

سأله المدير فى خشونة :

— ولماذا كنت تفعل ذلك ؟

بدا صوت الشاب مرتعدا ، خائفا ، وهو يقول :

— ليس هذا من شأنى ياسنيور .. كنت أحصل على الصور ، وأسلّمها إلى سنيور (جروشو) ، أو سنيورا (سونيا جراهام) و ....

قاطعه المدير فى توتُّر :

— من (سونيا جراهام) هذه بحقّ السماء ؟

مال نحوه أحد رجاله ، وهمس :

— لقد تلقينا بلاغا من مجهول هذا المساء ، يدّعى انتماءها إلى (الموساد) ياسيّدى ..

شحب وجه المدير ، وهو يهتف فى ذهول :

— (الموساد) ؟؟ يا للسماء !!

ثم التفت إلى أحد رجاله ، وقال :

— يبدو أن الأمر أخطر من كل ما كنا نتصوّر يا رجال .. إن تورُّط (المافيا) مع (الموساد) أمر خطير .. خطير للغاية .

ثم أردف فى صوت مرتجف :

— يبدو أننا سنضطر إلى شنّ الحرب على (المافيا) علانيةً هذه المرّة ، وليرحم الله هذه المدينة .

* * *

تطلّعت (منى) إلى ساعتها فى قلق ، ثم التفتت إلى (قدرى) ، الذى يجلس هادئاً إلى جوارها فى سيارته ، وقالت فى توتّر :

— العاشرة وعشر دقائق .. ترى ماذا يفعل (أدهم) فى هذه اللحظة ؟

أجابها (قدرى) فى توتّر مماثل :

— لاريب أنه الآن يؤدى دوره فى براعة ، متظاهرًا بالخوف والاستسلام ، أمام رجال مكتب مكافحة التجسّس ، الذين سيعتصرونه اعتصارًا .

تبدّى الحزن فى عينيها ، وهى تقول :

— إنه يعرّض نفسه لمخاطرة شديدة هذه المرّة ، فتوريط نفسه عمدًا فى قضية تجسّس ليس بالأمر الهيّن .

ارتجف صوت (قدرى) ، وهو يقول :

— هذا دأبه يا (منى) .. يلوح لى فى بعض الأحيان أنه يهوى الخوض فى قلب الخطر ، ولكنه يعلم دائمًا مايفعله .

ثم أردف بصوت أشدّ ارتجافًا :

— ولكن هذا لايمنعنى من الخوف بشدة هذا المساء .. إننى حتى فقدت شهيتى تمامًا .

خيّم الصمت عليهما لحظة ، ثم سألته (منى) :

— تُرى ماذا يفعل (فابيو) و(صوفيا) فى هذه اللحظة ؟

مطّ (قدرى) شفتيه ، وقال :

— (صوفيا) تعدّ بعض الطعام ، وتمنّى نفسها بعودة (أدهم) سالمًا ، أمّا (فابيو) فقد ذهب إلى صحيفته و....

قاطعته (منى) فى ذُعر :

— إلى صحيفته ؟!.. كيف يفعل هذا دون استشارة (أدهم) ؟.. ألايعلم أن أحقر رجال (المافيا) يعلم أنه الخيط الوحيد ، الذى يقودهم إلى (أدهم) ؟

ثم أردفت فى غضب :

— يا إلهى !!.. ماذا تفعل الآن ؟.. هذا هو عيب العمل مع الهواة .

تفجّر القلق فى وجه (قدرى) ، بعد أن تنبّه إلى فداحة الأمر ، وغمغم فى صوت مختنق :

— ليس أمامنا مانفعله يا (منى) ، فسلامة (أدهم)

تضطرنا إلى عدم التحرك من هنا .. كل ما يمكننا فعله هو أن ندعو الله (سبحانه وتعالى) أن يمرّ الأمر بسلام .

أطرقت (منى) برأسها ، وقالت فى ألم :

ـــ نعم يا (قدرى) .. هذا كل ما نملك فعله .

* * *

العاشرة والربع :

توقفت واحدة من سيارات الأجرة ، أمام مبنى الصحيفة التى يعمل بها (فابيو) ، وهبط هو منها ونقد سائقها أجره ، وأضاف إليه بقشيشًا محترمًا ، قبل أن يتطلع إلى المبنى فى سعادة وحنان ، كعاشق طال غيابه عن محبوبه ، ثم تقدم نحو المبنى بخطوات سريعة .. وقبل أن يصل إليه ، اعترض طريقه فجأة رجل ضخم ، وقال فى خشونة :

ـــ سنيور (فابيو) حسبما أعتقد .

سرى القلق بسرعة فى عروق (فابيو) وصوته ، وهو يقول :

ـــ إنه أنا .. ماذا تريد ؟

فجأة .. ارتفع مسدس ضخم فى وجهه ، وسمع الرجل يقول :

ـــ سنذهب معًا فى رحلة قصيرة .

تراجع (فابيو) فى ذعر ، ونقل بصره فى لهفة إلى حارس مبنى الصحيفة ، الذى أشاح بوجهه وكأنه لم يَرَ شيئاً ، فى حين واصل الرجل تقدُّمه نحو (فابيو) ، متابعًا :

ـــ سنستقلّ معًا تلك السيارة السوداء ، التى تقف هناك و ....

اندفع (فابيو) فجأة يجرى ، محاولاً الوصول إلى مبنى الجريدة ، ولكن حارسها اعترض طريقه ، وقال فى خشونة :

ـــ أوراقك يا سنيور .

هتف (فابيو) فى ذُعر :

ـــ أفسح الطريق يا رجل .. ألا ترى أن ... ؟

وقبل أن يتمّ عبارته ، هوت ضربة قوية على مؤخرة عنقه ، فترنح ، ومادت به الأرض ، وبدت له أضواء المبنى تخبو وتتضاءل ، ثم ساد ظلام تام .

* * *

العاشرة والنصف :

ارتجف جسد (فابيو) ، واستيقظ عقله دفعة واحدة ، حينما ارتطمت كمية من الماء المثلج بوجهه ، ففتح عينيه فى

صعوبة ، ليطالعه وجه (سونيا جراهام) ، التى نفثت دُخان سيجارتها فى وجهه ، وهى تقول فى برود :

ــ أين (أدهم صبرى) يا سنيور (فابيو) ؟

أعاد ذكر (أدهم) إلى (فابيو) رباطة جأشه ، فغمغم وهو يقاوم الدُّوار الذى يشعر به :

ــ من هو (أدهم) هذا ؟

صرخ فى ألم ، حينما أطفأت (سونيا) سيجارتها بهدوء كامل فى راحته ، وكشف فى هذه اللحظة فقط أنه مقيَّد بإحكام فى مقعد ضخم ، وشعر بالدماء تتجمَّد فى عروقه ، حينما عاودت (سونيا) سؤالها بالبرود نفسه :

ــ أين (أدهم) يا (فابيو) ؟

رفع (فابيو) عينيه فى ألم ، يتأمل (سونيا) ، والرجل القصير الذى يقف إلى جوارها ، قبل أن يغمغم فى ضعف :

ــ صدِّقينى يا سنيورا .. إننى لا أعرف من (أدهم صبرى) هذا .

ظهر الغضب على وجه (سونيا) ، وأسرعت تلتقط مطرقة ضخمة ، لوَّحت بها فى وجه (فابيو) ، وهى تصرخ فى غضب :



ظهر الغضب على وجه (سونيا) ، وأسرعت تلتقط مطرقة ضخمة ، لوَّحت بها فى وجه (فابيو) ..

ـ هل تريد الاحتفاظ بأصابعك سليمة يا (فايبو) ؟.. أخبرني أين (أدهم صبري) ، أو أحطمها كلها ؟

ارتجف جسد (فايبو) رعبًا ، ولكنه تماسك وهو يقول :

ـ لست أعرف من يدعى ؟....

قبل أن يتم عبارته ، هوت (سونيا) بالمطرقة في غضب على يده اليسرى ، وارتجَّ المكان بصرخة الألم والذُّعر ، التي انطلقت من بين شفتي (فايبو) ، عندما تحوَّلت كفه اليسرى إلى كومة من اللحم المفرى ، والعظام المهشمة ، وصرخ في ألم :

ـ أيها الوحوش .

عقد الرجل القصير ، الذي يقف إلى جوار (سونيا) حاجبيه ، وقال :

ـ كفى يا (سونيا) .. أنت تتمادين كثيرًا هذه المرة ، هذا يفوق ما فعلناه في (ديريس) .

صاحت (سونيا) في غضب :

ـ سيتكلم هذا الرجل يا (كاهان) .. سيخبرني أين (أدهم صبري) ، وإلا فسأحطِّم كل عظمة في جسده ، وأمزِّق كل قطعة لحم فيه .

أطبق (كاهان) شفتيه في حنق ، في حين التفتت (سونيا) إلى (فايبو) ، وصاحت في قسوة ، لا تتفق وملامحها الفاتنة الرقيقة :

ـ أين (أدهم صبري) يا (فايبو) ؟.. أجب قبل أن أحطِّم عظامك كلها .

تحوَّل جسد (فايبو) إلى قطعة من الثلج ، من شدَّة الألم والخوف ، وتطلَّع إلى المطرقة الضخمة في رعب ، وهو يستعيد كل لحظة له مع (أدهم صبري) ..

مع الرجل الذي أصبح محور حديث المدينة كلها ..

اختلطت في رأسه ذكرى إنقاذ (أدهم) لحياته ، بالألم الذي أصابه من تهشُّم كفه اليسرى ، واختلط في قلبه الألم والخزي ، وفي خضمِّ مشاعره ، رفعت (سونيا) المطرقة مرَّة ثانية ، وهي تصرخ في غضب :

ـ أين هو يا (فايبو) ؟

وصرخ (فايبو) :

ـ لا .. سأخبرك بما تريدين ، ولكن لا تضربي مرَّة أخرى .. أرجوك .

وسالت دموع القهر والألم من عينيه ، وهو يطرق مستطردًا :

ـ سأخبرك بكل شيء .. وليغفر لي الله .

* * *

٨ — الهجوم المزدوج ..

العاشرة وخمس وثلاثون دقيقة :

— تعلّق بصر (منى) و(قدرى) بالطريق فى صمت ، وبدت لهما الدقائق وكأنها تستغرق دهورًا ، حتى هتفت (منى) ، وهى تزفر فى ضيق :

— يا إلهى !!.. ألم ينته التحقيق معه بعد ؟.. متى يقرّرون نقله إلى الحبس الاحتياطى ؟

أجابها (قدرى) ، دون أن يستطيع إخفاء توتّره فى هذه اللحظة :

— كان (أدهم) يعلم أن الأمر سيستغرق وقتاً طويلاً يا (منى) ، ولكنه أعدّ خطّة هربه فى مهارة .. فهذا الطريق الوحيد ، الذى يمكن اتخاذه من وزارة الدفاع الإيطالية ، إلى مكتب مكافحة التجسّس ، حيث سيحتفظون به ولا ريب ، وأعتقد أن منطقه مقبول فى أنه سيكون داخل السيارة الوسطى ، تتقدّمه سيارة حراسة ، وتتبعه أخرى ، وكل ما علينا هو قطع

الطريق بعد مرور السيارة الأولى ، وعليه هو بمعاونتك إكمال الأمر ، فبدانتى لن تسمح لى بـ ....

قاطعته (منى) فى ضيق :

— كفى يا (قدرى) .. لقد راجعنا هذه الخطّة عشرات المرّات ، حتى سئمت ترديدها .

ثم أردفت فى صوت مرتجف :

— المهم الآن هو تنفيذها .. ونجاحها ، وإلّا فقدنا (أدهم صبرى) إلى الأبد .

* * *

العاشرة وأربعون دقيقة :

أشعل (كاهان) سيجارته ، ونفث دخانها ، وهو يلوّح بكفّيه فى عصبيّة ، قائلاً :

— لست أصدّق كلمة واحدة مما نطق به هذا الصحفى المزيّف .

قالت (سونيا) فى انفعال ، وهى تتأكد من وجود رصاصتها الذهبية فى مسدسها :

— بل ينبغى لك أن تصدّق كل كلمة يا (كاهان) ، فمن المستحيل على رجل تعرّض لكل هذا العذاب ، أن يفكر فى

لحظات لخطة منمقة ذكية كهذه ، تؤكد معرفته بالجهة التى تنتمى إليها ، وبأسلوب (أدهم صبرى) فى الوقت ذاته .

ثم دست المسدس فى حزامها ، وهى تردف فى حنق :

— ثم إن هذه الخطة الجريئة تحمل توقيع (أدهم صبرى) ولا ريب .

قال (كاهان) وهو يتابعها فى قلق :

— فى هذه الحالة ، لابد لنا من الانسحاب من العملية فورًا ، فمخابراتنا لن تسمح بالتورط فى قضية تجسس ، من أجل رجل واحد ، حتى ولو كان هذا الرجل هو (أدهم صبرى) نفسه .

زمجرت (سونيا) ، وقالت فى غضب :

— فلتذهب مخابراتنا إلى الجحيم يا (كاهان) .. سأقتل (أدهم صبرى) ، ولو كان هذا آخر ما أفعله فى حياتى .. سأقتله قبل أن ينتصف الليل .

صاح (كاهان) فى غضب :

— إننى أمنعك من المخاطرة يا (سونيا) .

انتزعت (سونيا) مسدسها فى سرعة البرق ، وصوبته إلى زميلها ، وهى تقول فى غضب :

— حاول يا (كاهان) .

توترت عضلات (كاهان) ، وقال وهو يضغط أسنانه فى عصبية :

— سأبرق إلى مخابراتنا على الفور .. إنك ترتكبين أكبر حماقة فى حياتك يا (سونيا) .

هزت كتفيها فى لامبالاة ، وقالت :

— افعل ما يحلو لك يا (كاهان) ، ولكننى سأرسل جثة (أدهم صبرى) إلى مخابراتنا فى صندوق ديبلوماسى ، قبل أن تشرق شمس الغد .

وتغلبت شراستها على رقة ملامحها ، وهى تردف فى سخط :

— أقسم لك .

* * *

الحادية عشرة تمامًا :

ضاقت حدقتا (منى) ، وهتفت فى انفعال ، وهى تشير إلى مجموعة من الأضواء تقترب فى سرعة :

— لقد وصلوا يا (قدرى) .. استعد ، فسنقاتل هذه المرة من أجل (أدهم) .

أدار (قدرى) محرك سيارته ، وقال فى انفعال مماثل :

— إننى أتوق لذلك يا (منى) .

وفجأة .. ارتفع فى المنطقة صوت طلقات نارية ،

واندفعت سيارة تعترض طريق سيارات رجال مكافحة التجسس الإيطاليين ، الذين ينقلون (أدهم صبرى) إلى مقرهم . وبدا وكأن معركة شرسة قد اندلعت فجأة ، على بعد أمتار كثيرة من سيارة (قدرى) و(منى) ، فصاحت فى ذعر :

— يا إلهى !!.. هناك من يحاول انتزاع السَّبْق منا يا (قدرى) .. أسرع .. أسرع قبل أن نخسر كل شىء .

* * *

كان (أدهم) يجلس هادئاً مسترخياً ، بين اثنين من رجال مكتب مكافحة التجسس الأشدّاء ، فى حين كانت عضلاته تستعد للعمل ، وهو ينتظر الوصول إلى نقطة اللقاء ، التى أعدها مسبقًا ، بالاتفاق مع (منى) و(قدرى) ، ولكنه فوجئ بالسيارة السوداء ، التى اعترضت الطريق ، وبوابل النيران ، الذى سقط فجأة على سيارات رجال مكافحة التجسس الثلاث ..

كان الأمر عنيفًا مفاجئاً ، ولكن (أدهم) عرف منذ اللحظة الأولى ، أنها ليس الخطة التى أعدها ، ولم يكن الأمر يحتاج إلى ذكاء نادر لاستنتاج طبيعة المهاجمين .

كان من الواضح أن خطته قد كشفت بوسيلة ما ، وأن مهاجميه من رجال (المافيا) ، أو (الموساد) ، أو كليهما ، وأن عليه فى كل الأحوال أن يحاول الفرار ..

وفجأة .. نفض (أدهم) ذلك الخنوع ، الذى تظاهر به طويلاً ، ودفع رجل مكافحة التجسس إلى يمينه ، وهو يقول فى سخرية :

— معذرة يا صديقى ، لقد تبدلت الأمور .

احتار رجال مكتب مكافحة التجسس ، بين صد ذلك الهجوم المباغت ، ومحاولة منع (أدهم) من الفرار ، ولم يذهلهم الهجوم بقدر ما أذهلتهم تلك الجسارة المفاجئة ، والمرونة المذهلة ، التى انبعثت فجأة فى جسد أسيرهم ، الذى قفز من السيارة فى رشاقة ، واستقبل أحد رجال (الموساد) بلكمة قوية ، ثم التقط مدفعه الرشاش قبل أن يسقط على الأرض ، وأطلق منه النار على المهاجمين ..

ازداد ذهول رجال مكتب مكافحة التجسس ، وهم يتساءلون إلى أى جانب يحارب (أدهم) ، ووصل ذهولهم إلى ذروته ، حينما رأوا فتاة رائعة الجمال ، بالغة الرقة ، تندفع وسط النيران المتبادلة فى جسارة مذهلة ، وتصوب مسدسًا

ذهبيًا صغيرًا إلى قلب (أدهم) ، وتصرخ فى لهجة أقرب إلى الجنون :

ـــ الوداع يا (أدهم صبرى) .

كان رجال (الموساد) قد سيطروا على الموقف تقريبًا ، وأجبروا رجال مكتب مكافحة التجسُّس المذهولين على الاستسلام ، إلا أن هذا بدا عديم التأثير على (أدهم) ، الذى تحرُّكت قدمه فى سرعة مذهلة ، لتركل المسدَّس الذهبى ، ثم قفز يلتقطه من الهواء ، وهو يقول فى سخرية :

ـــ لم يحن وقت الوداع بعد يا عزيزتى (سونيا) .

وفجأة .. اندفعت سيارة فاخرة وسط الأحداث ، وصاحت فتاة حسناء من داخلها :

ـــ أسرع يا (أدهم) .

لم تتوقف السيارة ، ولم تخفض من سرعتها ، ولكن (أدهم) بدا مذهلًا من سرعة استجابته ، وفى قفزته المدهشة ، التى ألقت به فوق سقف السيارة ، التى اختفت بغتة فى طريق جانبى ، وامتزجت صرخة القهر التى أطلقتها (سونيا) بتلك الضحكة الساخرة ، التى جمَّدت الدم فى عروق الجميع ، والتى أطلقها (أدهم صبرى) ، قبل ان

تختفى السيارة فى الطرق المتشابكة .. وفى لحظة واحدة اندفع رجال (الموساد) إلى سياراتهم ، وعلى رأسهم (سونيا) ، وانطلقت السيارات تحاول اللَّحاق بسيارة (قدرى) ، التى تحمل خصمهم اللدود ..

توقَّفت المعركة فجأة كما بدأت ، وتبادل رجال مكتب مكافحة التجسُّس نظرات مذهولة ، قبل أن يغمغم المدير فى شحوب :

ـــ ما الذى يحدث ؟!.. إننى لم أعد أفهم شيئاً .

لم يستطع أحدهم إجابته ، من شدة الذهول الذى سيطر عليهم ، فعقد حاجبيه فى غضب ، وقال فى صرامة :

ـــ أعتقد أننا سنذهب من فورنا لزيارة (جروشو ماتيانى) يا رجال .. فهو يدين لنا بتفسير لكل هذه الأحداث العجيبة ، وسيدلى بتفسيره ، ولو اضطررت لهدم قصره على رأسه ، الذى يمتلئ بالغرور والغطرسة .

* * *

٩ ـ الهزيمة ..

تهاوت (سونيا جراهام) فوق مقعد واسع، ودفنت وجهها بين كفيها، وانخرطت فى بكاء حار، فى حين أخذ (كاهان) يتحرك حولها فى عصبية، وهو يقول فى غضب :

ـ لقد حذرتك يا (سونيا) .. حذرتك من ارتكاب هذه الحماقة .. وهاهو ذا الشيطان قد نجح فى الفرار منك، وتسرعت أنت فى قتل ذلك الصحفى، بعد أن أدلى باعترافه، فلم نعد نستطيع أن نعرف منه المكان، الذى يختبئ فيه (أدهم صبرى) .. لقد هزمك الشيطان المصرى .. هزمك هزيمة منكرة .

قالت (سونيا) ، وهى تبكى فى حرارة :

ـ لقد أخذ مسدسى ، ورصاصتى الذهبية .

تطلع إليها (كاهان) لحظة فى دهشة ، ثم عاد يهتف فى سخط :

ـ فلتذهب رصاصتك الذهبية إلى الجحيم يا (سونيا) ..

المهم الآن أن نسارع بترحيلك إلى دولتنا ، فقد رأى رجال مكتب مكافحة التجسس وجهك فى وضوح ، وسينبشون الأرض بحثا عنك بعد قليل ، ما لم يكونوا قد بدءوا بالفعل .

صاحت (سونيا) فى تشنج :

ـ هل تريد منى أن أترك رصاصتى الذهبية فى يد ذلك الشيطان ؟

عقد (كاهان) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة شديدة :

ـ ستتركين كل شىء يا (سونيا) .. إننى أحمل هذه المرة أمرًا من مدير مخابراتنا بعودتك فورًا .

ثم أردف فى حنق :

ـ لقد قلتها بنفسك من قبل يا (سونيا) .. لا يوجد جهاز مخابرات واحد فى العالم ، يمكنه أن يضحى برجاله وقدراته وأمواله ، فى سبيل عملية انتقامية ، خاصة أن الشخص الذى تسعين خلفه لم يعد من رجال المخابرات المصرية بعد .

جمدت الدموع فى عينى (سونيا) ، وغمغمت فى ألم :

ـ وماذا لو قلنا إنك لم تجد الوقت الكافى لإبلاغى هذا الأمر ؟

قال (كاهان) فى صرامة :
ـ كلا يا (سونيا) .. ستعودين الآن إلى دولتنا .. وسيكون علينا أن نحنى رءوسنا هذه المرة أيضًا ، ونعترف بالهزيمة .
عادت الدموع تسيل من عينى (سونيا) ، وهى تقول :
ـ نعترف بالهزيمة ؟!
عاد (كاهان) يعقد حاجبيه ، ويقول فى صرامة :
ـ هناك مقعد ينتظرك فى الطائرة ، التى ستقلع إلى دولتنا بعد قليل يا (سونيا) .
هتفت (سونيا) فى ضراعة :
ـ أرجوك يا (كاهان) .
أجابها فى صرامة لا تقبل الجدل :
ـ الآن يا (سونيا) .
عاد الغضب يكسو ملامحها ، ونهضت وهى تقول :
ـ حسنًا يا (كاهان) .. سأرحل .
ثم أردفت فى سخط وشراسة :
ـ ولكن جولاتى مع (أدهم صبرى) لم تنته بعد ، ويومًا ما سأقتله .. نعم يا (كاهان) .. سأقتله .

* * *

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يتأمل الرصاصة الذهبية ، التى أخرجها من مسدس (سونيا) ، وقال :
ـ يا للسخرية !! لقد صنعت (سونيا جراهام) رصاصة ذهبية خصيصًا من أجلى ، يا له من تقدير عاطفى !!
غمغمت (منى) فى ضيق :
ـ (سونيا جراهام) لا تدرى شيئاً عن العواطف .. إنها أفعى جميلة المظهر ، قاسية المخبر .
ضحك (أدهم) وهو يقول مداعبًا :
ـ ولكنها أهدتنى رصاصة من الذهب الخالص ياعزيزتى .
ثم التفت إلى (صوفيا) ، وقال :
ـ أليس كذلك ياعزيزتى (صوفيا) ؟
وعقد حاجبيه ، وهو يستطرد فى قلق :
ـ لِمَ تبدين ملتاعة إلى هذا الحد يا (صوفيا) ؟
غمغمت (صوفيا) فى قلق واضح :
ـ (فابيو) لم يعُد حتى الآن .
قفز (أدهم) من مقعده ، وهتف فى دهشة :
ـ لم يعُد ؟! .. لم لَمْ يخبرنى أحدكم بأنه غادر المنزل ؟ لقد كنت أظنه مستغرقًا فى النوم .

ثم أردف في قلق :

— يا إلهي !!.. هذا إذن هو تفسير معرفة (سونيا) ورجال (الموساد) لخطتنا .. يا إلهي !!.. لقد أوقعوا به .

هتف (صوفيا) في رعب :

— إنه لن يشي بنا إلا إذا عذبوه في قسوة .. ربّاه !! (فابيو) المسكين !!

عقد (أدهم) حاجبيه في غضب ، وعاد قلبه ينبض بالرغبة في الانتقام ، وهو يقول في برود مخيف :

— لو أنهم مسّوا شعرة واحدة من رأسه فسيدفعون الثمن غاليًا يا (صوفيا) ، حتى ولو اضطررت لتحطيم عنق (جروشو) و(سونيا) قطعة قطعة .

وفجأة .. تحطّم باب المنزل ، واندفع عشرة من رجال (المافيا) إلى الداخل ، وقبل أن يتحرّك (أدهم) حركة واحدة ، ارتفعت فوّهات المدافع الرشاشة العشرة في وجهه ، وعبَر (جروشو مانيالي) باب المنزل في خطوات هادئة بطيئة ، ثم أشعل سيجارته في غطرسة ، وابتسم ابتسامة شامتة ، وهو يقول في هدوء :

— ها هو ذا عنقي رهن إشارتك يا سنيور (أدهم) ، إنني

لم أشأ إرهاقك ، فأتيت إليك بنفسي ، وأراهنك أن هناك عنق سيتحطم هذا المساء ، ولكنني أشك في أنه عنقي يا شيطان (المافيا) .



* * *



١٠ ـ وتحطَّم قلب ..

اتسعت عينا (صوفيا) في رعب ، وتوتَّرت أعصاب (منى) و(قدرى) ، في حين عقد (أدهم) ساعديه أمام صدره ، وقال في صرامة وبرود :

ـ أين (فابيو) يا (جروشو) ؟

ابتسم (جروشو) ، وقال في هدوء :

ـ دون (جروشو) يا سنيور (أدهم) ، هذا هو اللقب ، الذى يناديني به الجميع .

ثم أردف ، وهو ينفث دُخان سيجارته في برود :

ـ لقد طردت (سونيا) من قصرى يا سنيور (أدهم) ، ربما كان هذا الأمر عجيبًا ، ولكننى أراهن أنك كنت تتوقَّعه ، منذ بدأت خطتك لكشفها .

ظلَّت ملامح (أدهم) صارمة جامدة ، في حين لوَّح (جروشو) بكفه في حركة متغطرسة ، وتابع :

ـ ولقد كنت أتوقَّع بالطبع أن (سونيا) لن تستسلم ،

فاشتريت أحد رجالها بمبلغ يُسيل اللُّعاب ، وطلبت منه أن يخبرني بكل خطوة تخطوها تلك الفاتنة الشرسة ، وكان الرجل مطيعًا للغاية ، ونال مكافأة ضخمة حينما نقل إليّ اعترافات ذلك الصحفى المسكين ، وتركت أنا (سونيا) تخاطر بالحصول عليك ، واكتفيت بمراقبة المعركة ، ورأيتك تفر في مهارة مذهلة ، فتبعتك إلى هنا و .....

قاطعه (أدهم) في برود :

ـ أين (فابيو) يا (جروشو) ؟

ابتسم (جروشو) في سخرية ، وقال :

ـ لقد رحل إلى حيث الراحة الأبدية يا سنيور (أدهم) ، ولكن لا تقلق .. سرعان ما تلحقون به جميعًا ، في جنة الأغبياء .

شهقت (صوفيا) وهي تهتف في ألم :

ـ (فابيو) !!

وتفجَّر بركان من الغضب من أعماق (أدهم) ، واندفعت حممه في عروقه ، فصرخ في صوت ارتجفت له (روما) كلها :

ـ أيها الأوغاد !!

ثم انطلقت قبضته كالقنبلة ، في وجه أقرب رجال (المافيا) إليه ..

* * *

توافق رائع ذلك الذي ينشأ بين أفراد المخابرات ، حينما يعرف كل منهم الآخر جيدًا ..

لم يكد (جروشو) يتحدث بسخريته السخيفة عن مصرع (فابيو) ، حتى توقع (قدري) و(منى) ما يمكن أن يفعله (أدهم) ، واستعد كل منهم لمعاونته فورًا .. ولم يكد هو يحطم وجه أول رجال (المافيا) ، حتى ركلت (منى) وجه رجل ثان ، وألقى (قدري) جسده البالغ البدانة فوق ثالث ، وهو يقول في سخرية :

— معذرة أيها الوغد .. هل يضايقك ثقلي ؟

أما (أدهم) نفسه ، فقد انطلق كقنبلة موقوتة ، انفجرت فجأة وسط حشد من الناس ، فركلت قدمه إحدى المدافع الرشاشة ، وأطاحت قبضته بآخر ، وهشمت قبضته الأخرى أنف رجل ، وأطاحت قدمه الثانية بأسنان آخر ..

كان كالإعصار في هجومه ، وكالعاصفة في قتاله ..

تراجع (جروشو) في ذهول أمام المفاجأة ، ثم نفض

ذهوله في سرعة ، وأسرع ينتزع مسدسه ، ويصوبه إلى (أدهم) مغمغمًا :

— يا للشيطان !!

رأت (صوفيا) (جروشو) ، وهو يصوب مسدسه إلى (أدهم) ، ورأت (أدهم) و (منى) و(قدري) يولونه ظهورهم ، وانتفض قلبها ، وهي تتصور نفسها تفقد الرجل الذي احتل قلبها ، بعد أن فقدت رفيق عمرها ، فانقضت على (جروشو) ، وهي تصرخ :

— كلا .. إنك لن تفعل .

وانطلقت رصاصة (جروشو) ..

انطلقت لتستقر في قلب (صوفيا) ، التي غاضت الدماء من وجهها ، وترنحت ، قبل أن تهوي أرضًا ..

أدارت الرصاصة رءوس الجميع إلى مصدرها ، ورأوا (جروشو) وهو يندفع هاربًا ، فدار (أدهم) على عقبيه في سرعة ، وحطم فك آخر رجال (المافيا) ، ثم قفز إلى حيث سقطت (صوفيا) ، وهو يهتف :

— لن أسمح لهذا الوغد بالإفلات .

هتفت (منى) في ألم ، وهي تعدو من النافذة :



وانطلقت رصاصة (جروشو) ..
انطلقت لتستقر فى قلب (صوفيا) ، التى غاضت الدماء من وجهها ..

ــ فات الوقت يا (أدهم) .. لقد كانت هناك سيارة تنتظره ، انطلقت فى سرعة ، بمجرَّد أن قفز داخلها .

ضغط (أدهم) أسنانه فى غضب ، وانحنى يحتوى (صوفيا) بين ذراعيه ، فتطلَّعت إليه بعينين ذابلتين ، وابتسمت فى صعوبة ، وهى تقول بصوت شاحب :

ــ لقد فعلت هذا من أجلك .

أجابها (أدهم) فى حنان ، وحزن :

ــ أعلم ذلك يا (صوفيا) .

عادت تغمغم وهى تعانى سكرات الموت :

ــ لقد كنت أتمنّى أن أحيا إلى جوارك ، ولكن (منى) أفضل منّى .

مسَّ (أدهم) شفتيها بأنامله فى رقة ، وغمغم فى ألم :

ــ لا تتحدثى كثيرًا يا (صوفيا) .

أزاحت أنامله عن شفتيها فى حنان ، وهمست ، وصوتها يزداد خفوتًا وضعفًا :

ــ بل دعنى أتحدث إليك فى لحظاتى الأخيرة يا (أدهم) .. كنت أتمنىَّ دوْماً أن أخبرك أننى .. أننى ....

قاطعها (أدهم) فى حنان :

— لقد كنت أعلم ذلك يا (صوفيا) ، وأشعر به دائمًا .

أفتر ثغرها عن ابتسامة شاحبة ، وخبا بريق عينيها ، وهي تقول في ضعف ، وإن نمّ صوتها عن الارتياح :

— هذا يكفيني يا (أدهم) .. يكفيني تمامًا .

ثم أسلمت الروح بين ذراعيه ..

بكت (منى) في حرارة، وسالت دموع (قدرى) في صمت ، في حين حمل (أدهم) جسد (صوفيا) ، وأرقدها فوق فراشها في حنان ، ووقف يتطلّع إليها لحظة ، ثم غادر حجرتها ، وفتح درج مكتبه ، والتقط منه مسدّس (حازم) ، فأفرغه من الرصاصات ، ووضع في ماسورته رصاصة واحدة ..

نفس الرصاصة الذهبية ، التي انتزعها من مسدس (سونيا) ..

سألته (منى) في قلق :

— ماذا تنوى أن تفعل يا (أدهم) ؟

دس المسدّس في حزامه ، وتجاهل سؤالها وهو يقول في صرامة :

— انطلقا أنت و(قدرى) إلى المطار يا (منى) ،

واحجزا لثلاثة مقاعد على ظهر الطائرة ، التي تغادر (روما) إلى القاهرة فجر اليوم ، وانتظراني حين ألحق بكما هناك ، ونرحل معًا من هذا المكان .

عادت تسأله في إصرار :

— ولكن ماذا ستفعل ؟

أجاب وهو يتحرّك نحو الباب في خطوات سريعة :

— سأزور (جروشو) في منزله .

هتف (قدرى) ، وهو يتابعه ببصره في قلق :

— ماذا ستفعل به ؟

توقّف (أدهم) لحظة ، ثم استدار إليهما ، قائلًا في حزم وصرامة :

— سأقتله .

ثم اختفى خلف الباب ، قبل أن ينطق أحدهما بحرف واحد .

* * *

١١ — زيارة ليليّة ..

اندفعت سيارة (جروشو مانيالى) إلى ساحة قصره ، وتوقفت أمام القصر الشاهق الجديد ، وقفز هو منها وهو يهتف ساخطًا :

— أما لهذا الشيطان من نهاية ؟.. ألا توجد وسيلة واحدة للقضاء عليه ؟

أسرع إليه أحد رجاله ، وقال فى قلق واضح :

— هناك من ينتظرك بالداخل يا (دون) .

تطلّع إليه (جروشو) فى مزيج من الدهشة والقلق ، وقال :

— ومن ينتظرنى فى مثل هذا الوقت المتأخر ؟.. لقد تجاوزت الساعة الثانية صباحًا .

أجابه الرجل فى اضطراب :

— إنه مفتش البوليس (مارشيللو) ، ومعه عدد من الرجال ، يقولون إنهم أفراد مكتب مكافحة التجسُّس .

عقد (جروشو) حاجبيه فى دهشة ، وغمغم :

— مكافحة التجسُّس ؟!

ثم أردف فى غضب :

— يبدو أن هذا الشيطان قد نجح فى قلب الدنيا على رءوسنا .

وأسرع بخطوات واسعة سريعة إلى حجرة مكتبه ، وتوقف ببابها لحظة ، يتأمّل الرجال الذين يملئونها ، قبل أن يغمغم فى برود :

— مرحبًا بكم أيها السادة .. أى ريح أتت بكم فى مثل هذا الوقت ؟

ابتسم المفتش (مارشيللو) فى سخرية ، فى حين عقد مدير مكتب مكافحة التجسُّس حاجبيه ، وقال فى صرامة :

— لدينا عدد من الأسئلة ، نريد إجابتك عنها يا سنيور (جروشو) .

لوّح (جروشو) بذراعه فى غضب ، وقال :

— ليس الآن يا رجل .. إننى متعب ، وأريد أن أذهب لفراشى على الفور .

استدار وكأنه يهم بالانصراف ، إلا أن المدير صاح فى صرامة :

— قف يا (جروشو) .

التفت إليه (جروشو) فى دهشة ، فتابع المدير فى غضب :

— الموقف هذه المرّة لا يسمح بالانتظار ، ولن نتسامح فيه أبدًا .

سأله (جروشو) فى عصبيّة :

— ماذا تريد يا رجل ؟.. إننى مواطن شريف ، لا أخالف القانون أبدًا و .....

قاطعه المفتش (مارشيللو) فى سخرية :

— تقصد أنك لا تترك دليلًا عندما تفعل يا سنيور (جروشو) .

ظهر الغضب على وجه (جروشو) ، وقال المدير فى صرامة شديدة :

— لقد ألقينا القبض على رجل ، حاول تصوير وثائق وزارة الدفاع السّرّيّة يا (جروشو) .

هتف (جروشو) فى غضب :

— وما شأنى بهذا ؟

تابع المدير بنفس الصرامة :

— لقد اعترف هذا الرجل قبل أن ينجح فى الفرار ، أنه قد تلقّى أوامره منك بالذات يا (جروشو) .

شحب وجه (جروشو) لحظة ، ثم صاح فى حنق :

— إنها خدعة .. لا شأن لى مطلقًا بقضايا الجاسوسية .. لا ولم ولن يرتبط اسمى بها أبدًا .

غمغم (مارشيللو) ساخرًا :

— لقد ارتبط بالفعل يا سنيور (جروشو) .. لقد أثبتت التحريات أن الفتاة التى تقيم هنا ، والتى تدعى (سونيا جراهام) ، هى نفس الفتاة التى عاونت الجاسوس على الهرب .

هتف (جروشو) فى عصبيّة :

— لقد طردتها .

أومأ المفتش (مارشيللو) برأسه إيجابًا ، وقال :

— نعلم ذلك يا سنيور (جروشو) ، ونعلم أيضًا أنها غادرت (روما) بجواز سفر ديبلوماسى ، قبل أن نوقع بها .

ثم أردف وعيناه تتألقان خبثًا :

— هل تعلم إلى أيّة دولة كانت ينتمى جواز السفر هذا يا سنيور (جروشو) ؟

لوّح (جروشو) بكفيه ، صائحا فى عصبيّة :

ـــ هذا لا يعنينى .. لقد كانت مجرّد صفقة ، ولم تكد تجلب المتاعب حتى أسرعت بطردها .

نهض مدير مكتب مكافحة التجسّس فجأة من مقعده ، وتقدّم من (جروشو) ، قائلا :

ـــ اسمع يا (جروشو مانياتى) .. إذا كنت تتصوّر أنك تستطيع العبث بأسرار دولتنا كما تعبث بأمنها ، فأنت واهم .. لقد أيقنا من خيانتك للبلد الذى تقيم فيه ، وحتى لو لم تتوافر الأدلة ، فلن نسمح لك بالاستمرار فى ذلك .

صاح (جروشو) ، وقد شحب وجهه ، وغاضت منه الدماء :

ـــ أنتم مخطئون .. سأطلب من محامىّ الخاص مقاضاتكم لهذا الاتهام .

صاح المدير فى غضب :

ـــ أصغ جيدًا يا (جروشو) .. كلنا نعلم أن فرار الجاسوس ، قبل تدوين أقواله وتسجيلها يمكنه أن يبرئك ، ولكننى أقسم أنك لن تستمر فى فعلك الدنىء هذا ، حتى ولو اضطررت لقتلك بنفسى .

اتسعت عينا (جروشو) فى رعب عجيب ، وهو يتطلّع إلى النافذة ، التى تقع خلف الرجال ، ولم يلبث سرّ فزعه أن تبيّن ، حينما ارتفع من النقطة التى يحدّق فيها صوت (أدهم صبرى) ، يقول فى برود :

ـــ دَعْ عنك هذه المهمة يا سيّدى .. سأتولاها بنفسى .

* * *

ساد الصمت بضع لحظات ، والجميع يحدّقون فى ذهول فى وجه (أدهم صبرى) ، الذى يصوّب إليهم فوّهة مدفع رشاش ، إلى أن هتف مدير مكتب مكافحة التجسس فى دهشة :

ـــ من أنت يا سنيور ؟.. ولماذا تقتحم المكان ، وتهدّدنا على هذا النحو ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء ، لا يخلو من الصرامة :

ـــ ألا تعرفنى يا سيّدى ؟.. أنا الرجل الذى تطلقون عليه اسم (شيطان المافيا) .

هتف (مارشيللو) فى انفعال ، وعيناه تتألّقان فى شدّة :

ـــ أنا أعرفك يا شيطان (المافيا) .. إننى أحفظ صورتك ، منذ ظهرت على شاشة التليفزيون .

كان الانفعال يتملك الجميع ، وهم يتطلعون إلى الرجل ، الذى شغل (إيطاليا) كلها ، وبدا هذا الانفعال واضحًا فى صوت المدير ، وهو يقول :

— ماذا تريد ياسنيور ؟

أشار (أدهم) إلى (جروشو) ، وقال فى صرامة ، وغضب :

— أريد هذا الوغد ياسيدى .

صاح (جروشو) فى عصبية :

— ألا تعرفه أيها المدير ؟.. إنه الرجل الذى انتحل شخصية الجاسوس ، فى محاولة لتوريطى فى الأمر .

نقل الجميع أبصارهم بين (أدهم) و(جروشو) ثم غمغم المدير فى شك وحيرة :

— ولكنه لايشبه أبدًا ياسنيور (جروشو) .

صاح (جروشو) فى توتر ، وهو يلقى جسده خلف مكتبه ، فوق مقعده الأنيق :

— إنه خبير بفن التنكر أيها المدير .. تذكر هذا .

انبثق فجأة سؤال فى ذهن المدير ، فأسرع يلقيه ، قائلًا :

— كيف وصلت إلى هنا .. ياشيطان (المافيا) ؟

أجابه (أدهم) فى حزم :

— لكلٍّ وسائله الخاصة أيها المدير .

غمغم (جروشو) فى سخرية ، أثارت دهشة الجميع :

— نعم ياسنيور (أدهم) .. لكلٍّ وسائله الخاصة .

ثم قفز فجأة من خلف مكتبه ، وألقى شيئاً يشبه ثمرة الأناناس الصغيرة نحو (أدهم) ، وهو يصرخ :

— وهذه وسيلتى ياسادة .

لم يخطئ أحد الحاضرين معرفة ذلك الشىء ، فقفز رجال مكتب مكافحة التجسُّس إلى الخلف ، وهتف المفتش (مارشيللو) فى ذهول :

— ياإلهى !!.. إنها قنبلة .. قنبلة منزوعة الفتيل .. سينسفنا هذا المجنون جميعًا .

* * *



١٢ ـ الرصاصة الأخيرة ..

رأى (أدهم) القنبلة ، وهى تندفع نحوه ، حاملة الموت فى طياتها ، ورأى (جروشو) وهو ينطلق هاربًا من مكتبه ، وكان عليه أن يختار ، ما بين إيقاف (جروشو) ، أو القنبلة ..

واتخذ (أدهم) قراره فى سرعة مذهلة ..

نقل المدفع الرشاش إلى يده اليسرى ، وقفز فى رشاقة يلتقط القنبلة فى راحته اليمنى ، ثم دار على عقبيه فى خفة ، وألقى القنبلة من النافذة ، واندفع خلف (جروشو) ، فى نفس اللحظة التى انفجرت فيها القنبلة فى حديقة القصر ..

كان (جروشو) يعدو فى سرعة مذهلة ، وكأنما بعث الرُّعب فى جسده قوة إضافية ، وصاح وهو يقفز فى سيارته :

ـ شيطان (المافيا) يطاردنى يا رجال .. أوقفوه .. اقتلوهم جميعًا .

شهر رجال (المافيا) مدافعهم الرشاشة ، واندفعوا يسدّون الطريق فى وجه (أدهم صبرى) ، فى حين أطلق (جروشو) لسيارته العنان ، هاربًا من القصر .

ولكن (أدهم صبرى) كان فى هذه اللحظة كتلة من الغضب ..

كان غضبه قد أملى عليه قرارًا بألا يوقفه شىء ..

أى شىء ..

وفوجئ رجال (المافيا) بأنهم لا يقاتلون رجلًا واحدًا .. بل كتيبة كاملة من المقاتلين الأشداء ، أذيبت كلها ، وصبّت فى جسد رجل واحد ..

رجل يُدْعَى (أدهم صبرى) ..

بدا (أدهم) كبطل أسطورى، وهو يتفادى رصاصات رجال (المافيا) ، وينطلق نحوهم فى جسارة مذهلة ، وهو يطلق مدفعه الرشاش فى مهارة ، وتراجع رجال (المافيا) أمام رجل واحد ..

رجل كالقنبلة ..

لم يكد صوت الرصاصات يرتفع ، حتى صاح مدير مكتب مكافحة التجسُّس :

ـ يا إلهى !! إنه قتال علنى هذه المرّة .

انتزع رجاله أسلحتهم ، وظهرت الصرامة فى ملامحهم ، فى حين كان (مارشيللو) أول من اندفع خلف (أدهم) ، ومسدسه مشهور فى يده ، وهو يقول فى سخرية :

— كم تمنيت هذه اللحظة ؟

انطلق بدوره يطلق رصاصاته على رجال (المافيا) ، ورآهم لدهشته يتراجعون أمام (أدهم) ، الذى قفز داخل سيارة أخرى ، وانطلق بها خلف سيارة (جروشو) ، فاندفع (مارشيللو) بدوره إلى سيارة ثالثة ، وأطلق النار فى طريقه على مهاجميه وهشّم فك آخر بلكمة ساحقة ، قبل أن يشترك بدوره فى المطاردة ، تاركًا رجال مكتب مكافحة التجسّس يتبادلون النيران مع رجال (المافيا) ، وهو يحدّث نفسه ، مغمغمًا فى انفعال :

— اشحذ حواسك كلها يا (مارشيللو) ، فيبدو أنك ستشاهد الجولة الأخيرة من ذلك الصراع الرهيب .

* * *

مطاردة مجنونة تلك التى دارت فى شوارع (روما) ذلك المساء ..

كان جورشو ينطلق بأقصى سرعة تستطيع سيارته الانطلاق بها ، غير مبالٍ بمن يفرُّون من أمامه ، ومن يرتطم بهم ، ويلقى بهم على جانبى سيارته ..

وخلفه كان ينطلق (أدهم) فى سرعة خرافية ، وكأنه يجبر

سيارته على تجاوز سرعتها القصوى ، وكان (جروشو) يفسح له فى الطريق بسيارته ، لينطلق هو فى شوارع خلت من المارّة ، وخلفه ، وعلى مسافة قريبة نوعًا انطلق (مارشيللو) ..

مطاردة ثلاثية عجيبة ، لم يستطع رجال الشّرطة أنفسهم اللّحاق بها ، حتى تجاوزت السيارات الثلاث حدود المدينة ، وانطلقت فى الطريق الخارجى ..

اقتربت سيارة (أدهم) من سيارة (جروشو) ، الذى حاول عبثًا زيادة سرعته ، ولكن (أدهم) كان يقود كشيطان ثائر ، ولم تلبث السيارتان أن التقتا عند أول منحنى .

غمغم (جروشو) فى غيظ :

— يا للرجل !! أيّة قوة تلك القادرة على تحطيمه ؟

ثم مال فجأة خارج الطريق ، وسط أطلال أثرية قديمة ، واندفع بينها قبل أن يُوقف (أدهم) سيارته ، ويعود للانطلاق خلفه ..

كان (جروشو) يندفع بين الأطلال ، ويدور حولها فى مهارة عالية ، تؤكد أنه يعرف المكان ويألفه جيّدًا ، فى حين كان على (أدهم) أن يبطئ من سرعته نسبيًا ، ليتفادى الارتطام بأى منها ، فتألقت عينا (جروشو) فى ظفر ، وهتف فى شماتة :



اختفى (جروشو) وسط مبنى نصف متهدم ، فتوقف (أدهم) لحظة ، ودار بعينيه فى أرجاء المكان ..

— هنا تخسر أيها الشيطان .

لم يكد يتم عبارته ، حتى أصدر محرّك سيارته حشرجة عجيبة ، فانتقلت عيناه فى ذُعر إلى لوحة الإرشادات فى السيارة ، وشحب وجهه وهو يغمغم :

— يا للشيطان !!.. لقد نفد الوقود دون أن أشعر .

قفز من السيارة فى ذُعر ، وانتزع مسدّسه ، وهو يتطلّع فى رعب إلى أضواء سيارة (أدهم) ، التى تقترب منه فى سرعة ، ورفع فوّهة مسدّسه نحوها ، وأطلق النار ..

اخترقت رصاصات (جروشو) الزجاج الأمامى لسيارة (أدهم) ، قبل أن ينطلق (جروشو) عدْوًا وسط الأطلال ، فأوقف (أدهم) سيارته ، وقفز منها لينطلق خلفه ..

كان (جروشو) يجرى وكأن شياطين الأرض كلها تطارده ، وكان (أدهم) يتابعه فى إصرار ، فيدور خلف بعض الأطلال ، ويقفز فوق بعضها الآخر ، حتى اختفى (جروشو) وسط مبنى نصف متهدم ، فتوقف (أدهم) لحظة ، ودار بعينيه فى أرجاء المكان ، ثم عقد حاجبيه ، وغمغم فى صرامة :

— حسنًا يا (جروشو) .. لقد اخترت أرض الصراع ، وسأختار أنا النهاية .

* * *

أحد (جروشو) يلهث من فرط الانفعال والتعب ، وهو يختفى خلف أحد حوائط المبنى ، وارتفعت دقات قلبه فى قوة ، وهو يحاول حبس أنفاسه ، ويقبض على مسدسه فى توتر ، هامسًا فى عصبيّة :

— أين ذهب هذا الشيطان ؟.. لقد ساد الصمت فى المكان كله .

وعاد يردف وهو يرتجف غضبًا :

— أين ذهب ؟!!

قفز من مكانه ، وسقط مسدسه بين قدميه ، وتجمدت الدماء فى عروقه ، حينما سمع صوت (أدهم) الصارم يقول :

— خلفك أيها الوغد .

استدار (جروشو) فى رعب ، ورفع ذراعيه إلى أعلى ، وصاح فى صوت مرتجف :

— الرّحمة ياسنيور (أدهم) .. الرّحمة .

لم ينطق (أدهم) بكلمة واحدة ..

وقف ثابتًا .. صارمًا .. يصوّب مسدسه إلى (جروشو) ..

ورأى (جروشو) برودة الثلج فى عينى (أدهم) ،

واشتمّ رائحة الموت من فوّهة مسدّسه ، فخرّ ساجدًا على ركبتيه ، وضم كفّيه ، وهتف فى ضراعة :

— أرجوك ياسنيور (أدهم) أنا أكره الموت .

لم يحرّك (أدهم) قيْدَ أنملة .. ولم تهتز فى جسده شعرة واحدة ..

كان يتذكّر سلسلة الموت ، التى ارتبطت بصراعه مع (المافيا) ..

تذكّر تحطم كفّ (قدرى) ، ومصرع (حازم) ، ومقتل (ماستوريانى) .. تذكّر موت (فابيو) ، وحنين عينى (صوفيا) ، وهى تلفظ أنفاسها الأخيرة ..

اختلطت ذكرياته بصرخة (جروشو) :

— لاتقتلنى ياسنيور (أدهم) .

وفجأة .. قفز (جروشو) نحو مسدّسه ، والتقطه ، ثم أدار فوّهته نحو (أدهم) ، وصرخ :

— سأقتلك أنا .

وشقّ صوت رصاصة سكون الليل ..

رصاصة استقرت بين عينى زعيم (المافيا) ..

بين عينى (جروشو مانيانى) ..

ولم تختلج عضلة واحدة فى جسد (أدهم) ، حينما سقط (جروشو) صريعًا تحت قدميه .

كل مافعله هو أنه رفع المسدس ، الذى أطلق منه الرصاصة إلى عينيه ، وتأمله فى هدوء .

كان المسدس يحمل اسم (حازم) ، والرصاصة تحمل توقيع (سونيا جراهام) ..

نعم .. رصاصة (سونيا) الذهبية ، هى التى استقرت فى رأس (جروشو) وسلبته الروح ..

أخيرًا عثرت الرصاصة الذهبية على مستقرها ..

وفى هدوء عجيب انحنى (أدهم) ، ووضع المسدس الفارغ ، الذى يتصاعد الدخان من فوهته على صدر (جروشو) ، واعتدل واقفًا ، ورفع عينيه إلى السماء ، وتمتم فى ارتياح :

— فلتستقر روحك فى السماء يا (حازم) .. لقد انتقمت لك .

انبعث من أمام مدخل البناء المهدم صوت هادئ يقول :

— هذا لاينفى أن مافعلته يعدُّ فى القانون جريمة قتل عمد ، مع سبق الإصرار والترصُّد يا شيطان (المافيا) .

استدار (أدهم) إلى مصدر الصوت فى لامبالاة ، ورأى المفتش (مارشيللو) ، الذى يصوِّب إليه مسدسًا ضخمًا ، وقد تألق فى عينيه الانتصار .

* * *



١٣ ـ الختام ..

ارتفع صوت المذياع الداخلى فى مطار (روما) ، يطلب من ركاب الطائرة المتوجّهة إلى القاهرة الاستعداد ، وبدأ صوت (منى) مُفعمًا بالقلق ، وهى تقول لـ (قدرى) :

ــ (أدهم) لم يصل حتى الآن يا (قدرى) .. إننى أكاد أقضى قلقًا .

غمغم (قدرى) فى صوت يفوقها توترًا :

ــ سننتظر حتى آخر لحظة يا (منى) .. مَنْ يدرى ؟

ترقرقت الدموع فى عينى (منى) ، ولوّحت بكفّها وهى تقول :

ــ كان ينبغى ألا نطيعه هذه المرّة .. فلقد كان يعانى غضبًا شديدًا ، أخشى معه ألا يحسن القتال .

غمغم (قدرى) :

ــ أدهم يقاتل بكفاءة كاملة ، فى كل الأحوال .

هتفت (منى) وقد بلغ توتّرها مبلغه :

ــ لماذا تأخرّ إذن ؟.. لماذا ؟

* * *

استرخى (أدهم) فى المقعد المجاور لـ (مارشيللو) ، الذى انطلق بسيارته فى سرعة ، نحو مطار (روما) ، تاركًا (أدهم) نهبًا لأفكار شتّى ..

لقد تصوّر ، فى البداية أن (مارشيللو) سيلقى القبض عليه ؛ بتهمة قتل (جروشو مانيانى) ، ولم يكن هذا يعنيه ، بعد أن حقق انتقامه ، ووجّه ضربته القاضية الأخيرة لـ (المافيا) ، ولكنه فوجئ بـ (مارشيللو) يعيد مسدّسه إلى غمده ، ويقول فى حماس :

ــ هيّا يا رجل .. أفضل ما تفعله الآن هو أن تغادر البلاد فورًا .

لم يفهم (أدهم) سرّ تصرّف (مارشيللو) ، خاصة أنه قد كان يعلم أن مفتش الشرطة هذا شديد الإخلاص لعمله ..

لم يفهم ، ولكنه لم يعترض ..

كان (مارشيللو) يقوده إلى المطار ، وكأنه يعرف تفاصيل الخطّة ، التى وضعها (أدهم) لهروبه ، بعد انتهاء مهمته ..

ظلّ (أدهم) صامتًا ، مسترخيًا ، حتى لاحت أضواء المطار ، فسأل المفتش فى هدوء :

— لِمَ فعلت ذلك أيها المفتش ؟

ابتسم (مارشيللو) ، وغمغم :

— هل تقصد لِمَ أعاونك على الفرار ؟

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، فعاد (مارشيللو) يبتسم ، ويقول :

— هل جُننت يا رجل ؟.. أكنت تريد منى أن أتلقى سخط (إيطاليا) كلها ؟.. كلّا يا صديقى .. إننى لن أحمل على كتفىَّ عار إلقاء القبض على (شيطان المافيا) ، الذى بعث السعادة والأمل فى قلوب الإيطاليين جميعًا .

ثم أردف فى سخرية :

— فيما عدا رجال (المافيا) بالطبع .

غمغم (أدهم) فى هدوء :

— أهذا هو السبب الوحيد ؟

امتلأ صوت (مارشيللو) بالحماس ، وهو يقول :

— ألا تدرى ماذا فعلت يا سنيور (أدهم) ؟.. لقد حطّمت وحدك أسطورة (المافيا) ، التى أنشأها (دون كيرليون) على دماء الأبرياء .. أنت وحدك سحقت سلالته كلها .. (دون ريكاردو) ، (كاميللو) ، (مايكل) ،

(كارلو) .. وحتى الرجل الوحيد من خارج الأسرة ، الذى كان يمكنه تزعُّم المنظمة ، لقى حتفه على يديك منذ لحظات .. لقد حطّمت أسوأ أسرة فى التاريخ يا رجل ، ولم يَعُد باقيًا من سلالة (دون كيرليون) سوى ابنته (كارولينا) ، ولا أظن أنها تصلح للزعامة ..

صمت لحظة ، ثم عاد يردف بمزيد من الحماس :

— لقد مزّقت وحدك ذلك الستار الأسطورى المخيف ، الذى أحاطت به (المافيا) نفسها على مرّ السنين يا سنيور (أدهم) .. لقد أثبتّ أن (المافيا) ليست وحشًا لا يمكن هزيمته .. لقد أظهرت ضعفها ، وهذا أمر بالغ الأهمية .

غمغم (أدهم) :

— (المافيا) أكبر من أن يهزمها رجل واحد أيها المفتش .. إن رجالها ينتشرون فى قارات الأرض الست .

هتف (مارشيللو) :

— مشوار الألف ميل يبدأ بخطوة يا سنيور (أدهم) .. ولقد وضعت أنت أقدامنا على الخطوة الأولى .

ثم أردف ، وهو يوقف سيارته فى ساحة المطار :

— وصدّقنى .. إنها بداية النهاية لـ (المافيا) ، وستثبت

لك الأيام حسن تقديرى للأمور .

هبط (أدهم) من السيارة ، ووقف لحظة يتأمل المفتش (مارشيللو) ، ثم مدّ يده يصافحه ، وهو يقول :

ـ كيف يمكنني أن أشكرك ؟

هزّ (مارشيللو) كتفيه ، وقال :

ـ بألا تسمح لهؤلاء الأوغاد باقتناصك ، بعد أن حطّمت زعيمهم ياسنيور (أدهم) .. هيّا .. امض بسلام إلى وطنك .

ابتسم (أدهم) ، وقال فى هدوء وامتنان :

ـ لن تُهزم (إيطاليا) ، مادامت تضم رجالاً مثلك يا (مارشيللو) .

ابتسم (مارشيللو) بدوره ، وقال :

ـ أسرع حتى لاتفوتك الطائرة .. إلى اللقاء ، أو وداعاً ياشيطان (المافيا) .

اتسعت ابتسامة (أدهم) وهو يقول :

ـ اسمى (أدهم) ياصديقى .. (أدهم صبرى) .

تألق الإعجاب فى عينى (مارشيللو) ، وتمتم فى انفعال :

ـ أسرع إلى طائرتك إذن يا (أدهم صبرى) .

ووقف (مارشيللو) يتابع (أدهم) ببصره ، وهو يدخل إلى قاعة المطار ، ورأى (منى) و(قدرى) ، وهما يندفعان نحوه فى سعادة غامرة ، وظل يراقبه فى اهتمام ، وكأنما يقوم على حراسته ، حتى حلّقت الطائرة ، فى طريقها إلى القاهرة .

هنا فقط تنهّد (مارشيللو) فى ارتياح ، وغمغم وهو يتابع الطائرة ببصره :

ـ وداعاً ياشيطان (المافيا) .. وداعاً يا (أدهم صبرى) ، أيها الرجل الذى أثار إعجابى لأول مرّة منذ سنوات وسنوات .. وداعاً يامن سأطلق عليه فى أعماق دومًا لقبًا يليق به .. لقب (رجل المستحيل) .

* * *

ـ [تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦١٩

المؤلف

د. نبيل فاروق

الضربة القاضية

- ما الأسلوب الجديد ، الذى اتبعه (أدهم صبرى) مع (المافيا) فى هذه الجولة ؟
- هل يستمر تعاون (جروشو ماتياك) ، (وسونيا جراهام) ضد (أدهم صبرى) ؟
- ترى .. هل ينتهى الصراع فى هذه الجولة ؟ ومن سيفوز يا ترى ، بالضربة القاضية ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، لترى كيف يعمل (رجل المستحيل) .

رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

٤٩

الثمن فى مصر

وما يعادل دولارًا أمريكيًا فى سائر الدول العربية والعالم



العدد القادم : مهمة خاصة

العدد رقم ٥٠ (عدد ممتاز)